الباب السادس

انتشار الإسلام في مدغشقر وجزر القمر

الفصل الأول

انتشار الإسلام في مدغشقر

إذا كان الحديث فى الفصول السابقة عن الإسلام فى الإمارات الإسلامية، الممتدة فى ساحل شرق أفريقيا الشمال وساحل إمارات الطرز الإسلامى الحبشية ، ثم ساحل الصومال (مقديشيو وساحل الزنج) فإن الامر يقتضى- ما دام ذلك البحث عن حركة المد الإسلامى فى شرق أفريقيا- أن نتحدث عن جزر القمر وجزيرة مدغشقر ، وبالنسبة لجزيرة مدغشقر، فقد ذكروا أن سكان الجزيرة جاءوا اليها من أفريقيا وبلاد العرب، وقد اختلط بعض ملاحى العرب، الذين كانوا يترددون على الساحل الأفريقى الشرقى- منذ زمن بعيد- بسكان هذه البلاد ، كما اختلطوا بجنس الملايو، الذين لا يستبعد أن تكون الرياح قد طردتهم، وألقت بهم السفن التى كانت تقلهم على سواحل هذه الجزيرة، كما أنه توجد فى الجزيرة قبيلة قوية تسكن الساحل الجنوبى الشرقى من البلاد، وتدعى قبيلة انتيمورونا، يُذكر أن أجدادهم وأسلافهم القدامى قدموا إلى ذلك الجزء من مدغشقر من مكة المكرمة، وأنهم ينسبون إلى أشراف مكة ، ويذكر فى ذلك المجال أرنولد توماس فى كتابه «الدعوة إلى الإسلام»، أن تحول هذه الجزيرة إلى الإسلام، لابد أن يكون قد تم على أيدى دعاة من العرب ، وأن الوقت الذى تحولت فيه هذه القبيلة إلى الإسلام، لا يمكن تحديده بالضبط: هل كان فى أى قرون من القرون الهجرية الأولى، على الرغم من أن هناك بعض الأساطير التى يرويها سكان الجزيرة من أن إسلامهم يرجع إلى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، بل إن تلك المعلومات تكاد تكون موثوقة تاريخيا ، ذلك لأن الرحالة الأوروبيين من البرتغاليين والإيطاليين، الذين زاروا الجزيرة فى القرن السادس عشر الميلادى قدروا فى كتاباتهم عن سكان الجزيرة، أن إسلامهم قديم، قدم الدعوة الإسلامية فى عهدها الأول، أى إن إسلام أسلافهم قد تم فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وربما قد يكون فى عهد الشيخين (أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب) .

وينتشر الجنس العربى فى مدغشقر، لاسيما فى الجزء الشمالى الشرقى من الجزيرة

والجنوب الغربى، ولا يستبعد أن يستبق الأسرة الحاكمة من سلالة العرب الأوائل، الذين اختلطوا مع السكان الأصليين بالمصاهرة والزواج، وقد تكون من الأفريقيين والعرب والملايو فى مدغشقر ما يعرف بالجنس الملجاش أو الملجاشى؛ حيث يتكلمون اللغة الملجاشية، التى تمتزج ببعض الكلمات السواحيلية ، وهم شعب يميل إلى الشعر والموسيقى، ويشتغل الرجال بالزراعة، وتقضى النساء أوقاتهن فى نسج وغزل الخيوط، وقد مهر الرجال فى أعمال البناء، وفى صناعة الحديد والنحاس والسلاسل الذهبية والفضية والفخار، ويعرف الملجاش بالفصاحة، وتنتشر بينهم الخرافات، ويشتغل كثير منهم بالعرافة .

وقد تكون تاريخ انتشار الإسلام فى بلاد خط الاستواء الأفريقية والجزر المجاورة لها، والتى منها جزيرة مدغشقر، بحيث لا يعرف عن تاريخ الإسلام والمسلمين بها إلا القدر اليسير؛ حيث إن الكتابات الأولية للمواطنين العرب والمسلمين القدامى، الذين كانت كتاباتهم المصادر الأساسية فى كتابة التاريخ، لم تتناول الحديث عن تلك الجزر، وإن كان ياقوت الحموى فى كتابه «معجم البلدان» قد أشار إلى مدغشقر، على أنها من أكبر جزر القمر فى وسط بحر الزنج، وليس فى ذلك البحر جزيرة أكبر منها والحقيقة التاريخية تؤكد تلك الأقوال؛ حيث إن مدغشقر هى أكبر جزيرة فى ساحل شرق أفريقيا، وإن كان ياقوت الحموى قد أشار إليها، على اعتبار أنها أكبر جزر القمر، وقال عنها إن فيها عدة مدن وملوكًا، يخالف كل واحد منهم الآخر ، وان كان العرب قد أشاروا عن مدغشقر بأدنى المعلومات؛ حيث قالوا ان بها شعباً يعرف بالهوفا، وأنه لم يعرف الكتابة إلا منذ فترة وزمن قصير ، أما قبيلة الأنتيموورونا التى تسكن الجنوب الشرقى، فقد استعملت الكتابة والخط العربى، منذ زمن طويل، قبل الهوفا وصار عندهم بعد دخولهم الإسلام شىء من الأدب اللغوى العربى .

وقد انتشر المسلمون فى أجزاء عديدة من جزيرة مدغشقر، فنجد مثلاً فى أحد ثغور الجزيرة وهو ميناء بهاجونجو، التى توجد به جالية عربية عظيمة من المسلمين السنيين، الذين ينهجون مذهب الإمام الشافعى مذهباً دينياً لهم، ويتخذون فى جميع أحوالهم اللغة العربية حديثًا لهم، بل إنهم يستخدمونها فى جميع أمورهم، ويكتبون لغتهم بالحروف العربية، بل إنه يوجد من بينهم من يتكلمون اللغة العربية ويتحدثونها بطلاقة جيدة ، وإن كان سكان ذلك الميناء يعرفون بأنهم من أصول عربية، قبل انتشار الإسلام اليهم، وأن لهجاتهم هى إحدى اللهجات السواحيلية الأصل، التى تغيرت عن اصلها السواحيلى باختلاف اللفظ وباختلاط سكان جزر القمر مع أهالى مدغشقر؛ ذلك لأن أهالى مدغشقر منذ عصور طويلة،

وهم على صلة مستمرة ومتصلة مع سكان جزر القمر .

ومدغشقر جزيرة كبرى واسعة الأطراف ، بعيدة الأكناف، وهى من جزر العالم المشهورة، يمتد طولها أكثر من الف وستمائة كيلو متر، وعرضها قرابة ستمائة كيلومتر ، ويقدر علماء الجغرافيا مساحتها بحوالى ٥٠٠,٢٢٨ خمسة آلاف واثنين وثمانية وعشرين كيلومتراً مربعاً، وموقعها فى أسفل ساحل شرق أفريقيا، وسكانها قبائل متنوعة، وأكبرها قبيلة هوفا وتبسلو وسمهدت وغيرها، وأكبر مدنها العاصمة تناناريف ، ثم تأتى بعدها ثلاث مدن كبرى أخرى، وهى: تمتناف، أكبر ميناء لرسو السفن الكبيرة ومدينة مجنكا ، ومدينة دانيو، وهذه المدن الثلاث يكثر فيها المسلمون، وتكثر فيها مساجدهم، وتوجد كذلك كثير من القبائل الإسلامية، التى تقطن الساحل الشمالى الغربى فى مدغشقر وكذلك توجد بعض الاسر العربية والسواحيلية، التى استقرت فى الجزيرة، بالإضافة إلى أنه يوجد عديد من القبائل الكبرى، التى تغطى الجزيرة، ومنها: قبائل تنالا Tanala ، وقبيلة انتانكارانا Antankarana ، وقبيلة انتسنى هانكاAntsihanaka ، وقبيلة ساكالفا Sakalava ، وقبيلة بستى ساراكا Besti sa-raka، بالإضافة إلى قبيلة الهوفا المشار إليها، وقبيلة الأنتامورونا Antamorona . ويقال إن تلك القبائل- مع اختلاف اصولها العرقية والسلالية والجنسية- فإنها تمثل امة واحدة، ولقد كان العرب من الجماعات التى قدمت زرافات؛ فقد أدخلوا فيها عاداتهم وعقائدهم، ولكن لم يطل بهم الزمن حتى اختلطوا وامتزجوا بالأهالى الأصليين، وتزوجوا منهم وتصاهروا، ولم يبق من عاداتهم وتقاليدهم وأعرافهم القديمة إلا الشيء اليسير .

بل إنه حاول بعض المؤرخين الفرنسيين، ومنهم الفرنسى جبرال فـــراند Gubril Fe-rand أن ينكر دور العرب بقوله إن العرب والمسلمين لم يتركوا تأثيرهم العقائدى، إلا فى قبيلة الأنتامورونا، التى أعلنت دخولها فى الاسلام، وحتى إسلامهم كان ضعيفاً، وإن كان الإسلام قد تأثرت به بعض القبائل الأخرى، ولكن كان إسلامها حقيقياً فى بادئ الأمر، ثم تعمق الشعور الإسلامى فيما بعد. وتسكن قبيلة الأنتامورونا الإسلامية الساحل الجنوبى الشرقى من مدغشقر بين مصب نهر المانجارا، ومدينة مازيندانو؛ اى على طول مائتين وخمسة وعشرين كيلو متراً، ويسكن إلى الشمال من هذه القبيلة، قبيلة اليتمزراكا، وعاصمة قبيلة الأنتامورونا الإسلامية، هى مدينة ماتيا نانا على ضفة النهر المسمى باسمها، وتوجد فروع كثيرة من الأنتامورونا، مستقلة بعضها عن بعض، ولكنها خاضعة من الوجهة الدينية والحكومية لقبيلة لاتاكارا، الذين فيهم بيت الحكم؛ حيث هى فروع منهم، ولهم

التقدم على جميع قبائل الجزيرة .

ولا يتزوج بعضهم إلا من بعض فكأنهم قريش الأنتاموورونا، ومنهم ملوك القبيلة كلها، وهم أمناء الدين الإسلامى، وفى ايديهم ادارة المساجد التى يقرضون لأجل نفقاتها وإنارتها وإصلاحها نفقات زهيدة على أبناء ملتهم. ويزعم الأنتاموورونا أن أصلهم من مكة المكرمة ويحتفظون بأصولهم العرقية بكتب خطية عربية، متناهية فى القدم، وألوانهم نحاسية، وأبصارهم حادة، وشعورهم مجعدة، ولكنهم هم وحدهم الذين سبقوا كل القبائل إلى الإسلام، كما أنهم سبقوا كل القبائل فى تعليم أولادهم حفظ القرآن الكريم، ودراسة العلوم الإسلامية، واللغة العربية ، حيث إن الكتاتيب- كما ذكر بعض الذين زاروا تلك القبيلة- منتشرة على نطاق واسع، وتوجد عندهم بكثرة؛ حيث يقوم الفقيه أو شيخ الكتاب بتعليم الاولاد حفظ القران الكريم، ومبادئ القراءة والكتابة .

ولقد كتب جميع الكتابات الرسمية فى قصور ملوك الهوفا، رجال من قبيلة الأنتاموورونا باللغة العربية؛ حيث كانت هى اللغة الرسمية لمدغشقر، طوال عصور تاريخية طويلة، قبل قدوم رجال الاستعمار الغربى. وهذه القبيلة المسلمة الأنتاموورونا تعتبر من أولى القبائل، التى تسكن مدغشقر، وتبدى عناية تامة بأولادهم. وهذه هى تعاليم الإسلام التى تحض على الاهتمام بتربية الأبناء تربية صالحة، وهم رجالا ونساء شديدى التمسك بالإسلام، وهم يطبقون الشريعة الإسلامية فى كل أمورهم كالميراث والزواج والسرقة والقتل والزكاة والعشور، وكانت قبيلة الأنتاموورونا قبل الدخول فى الإسلام واعتناقه تعيش فى الجاهلية، شأنها شأن القبائل الأخرى؛ حيث كانت لها عاداتها وتقاليدها الوثنية .

ولقد كان وجود هذه القبيلة الإسلامية فى مدغشقر، من الأسباب القوية لمعرفة تاريخ وأصول تاريخ هذه الجزيرة؛ حيث انه لا توجد فى مدغشقر تواريخ عن أصول الأهالى، ولكن تقدم ورقى قبيلة الأنتاموورونا- بسبب اعتناقها للدين الإسلامى، ومعرفتها بالكتابة والقراءة، ووجود الكتابة العربية عندهم- ساعد على معرفة العالم ببعض الأمور عن الجزيرة؛ فقد ساعد اختلاط العرب بالقبائل المدغشقرية بالمصاهرة والزواج، أن نتج عن ذلك الاختلاط قبيلة الأنتاموورونا، كما نتج عن اختلاط العرب بسكان ساحل شرق أفريقيا من البانتو ، الشعب السواحيلى، إلا أنه يذكر أن قبيلة الأنتاموورونا قبل دخولها الإسلام، كانت تعتقد فى إله واحد أزلى أبدى، خالق الكون كله، بيده كل شىء. وفى تلك الأثناء جاء العرب المسلمون إلى الجزيرة، يدعون لدينهم الخالد، دين التوحيد وعبادة. الواحد القهار، ولما كانت

العقيدة الإسلامية مؤيدة لما بين أيديهم فقد أسلمت جميع العائلة، التى كانت بها أصول عربية، قبل وصول تيار الدين الإسلامى إلى جزيرتهم ، بل إنه بالإسلام ازداد هؤلاء القوم سناء ورفعة ورقيـا. أما الفترة التى اعتنق فيها الانتامورويون الدين الإسلامى، فهى غير معلومة تاريخيا، والمعروف أن هذا التحول الجماعى إلى عقيدة الإسلام، لم يلاق معارضة من أحد بالجزيرة، بل تلقى هؤلاء القوم الدين الإسلامى الجديد بالفرح والنشاط ، كما أنهم نشطوا بالدعوة له بين القبائل الوثنية الأخرى المجاورة لهم، سواء كانت فى الشمال أم الغرب أم الجنوب .

وهم ينطقون بالحروف والجمل العربية، مثلهم مثل العرب؛ فيقولون مثلا إن شاء الله مكتوب الله وأن جميع كتاباتهم تبدأ بحمده الحمد لله وحده، ويكتبون بسم الله الرحمن الرحيم، لا إله إلا الله محمد رسول الله، ولا يبدأون بأى عمل من الأعمال إلا بعد تلاوة هذه الجملة السابقة (بسم الله الرحمن الرحيم، لا إله إلا الله، محمد رسول الله) .

وتنطق أيام الأسبوع كلها فى جميع أنحاء مدغشقر، وليس بين هذه القبيلة من لاينطق باللغة العربية مع اختلاف بسيط فى النطق فالسبت سبت، والأحد احد ، والاثنين اتنين، والثلاثاء تلاتاء ، والأربعاء ربوع ، والخميس خميس ، والجمعة زمعة . وهم يحافظون على الصلوات الخميس، ويؤدونها فى مواعيدها ، كما أنهـم يمتنعون عـن أكل الحيوانات النجسة، ويقومون بختان اطفالهم وطهارتهم.

ومن العادات الإسلامية عند فرع من قبيلة الأنتامورونا، وهم الانتاكارا الذين فيهم بيت الملك، أنهم يقرأءون أمام كل عمل صلاة تناسبه؛ فمثلاً إذ أرادوا ذبح حيوان، قالوا اللهم اجعل لحمه صالحاً ولهم عادات. قال أحدهم هذه عادات قديمة جداً عندنا، جاءتنا من مكة. والمدينة، ويقولون للمدينة (مدينازى ، واحيانا) مدينانى ويقولون لمكة والمدينة المدينتين، ويدعى فرع الانكار، الذى به الحكم، أنهم من سلالة الإمام على بن ابى طالب، رابع الخلفاء الراشدين، وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وزوج ابنته فاطمة. ولقد رضى الله عن السلف الصالح من هذه الامة الإسلامية والرواد الأوائل، الذين حملوا الإسلام والدعوة الإسلامية بقوة الإيمان والإخلاص، الى تلك الجزيرة؛ حيث خرجوا من جزيرتهم العربية من الحرمين الشريفين مكة والمدينة، ومن اليمن وحضرموت، وغيرها من أرجاء الجزيرة العربية، وجابوا وساحوا فى البحار يجوبونها؛ حتى وصلوا إلى شرق أفريقيا وموزمبيق وجزر القمر ومدغشقر، ونشروا بها الإسلام، وجاهدوا فى الله حق جهاده حتى اتاهم اليقين؛ فلقد

دخل الإسلام هذه الجزيرة منذ عصوره الذهبية الأولى، فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، او عصر الخلفاء الراشدين؛ حيث كانت قبيلتا هوفا والانتامورونا الكبيرتين، قد اعتنق أكابر رجالها الإسلام الحنيف، وبقيت مدغشقر بسكانها الذين يربو عددهم- حالياً- على ثمانية ملايين نسمة، وترتع بنعمة الإسلام العظمى، وتعيش على مبادئه، وتؤمن بعقيدة التوحيد الخالص، ويظهر أن بعد الشقة وانقطاع الجزيرة فى ذلك المحيط الهندى، وضعف همم المسلمين فى عصورهم المتأخرة، وعدم اهتمام كثيرين منهم بإخوانهم المسلمين، فى مثل هذه المواطن النائية.. هذه الأسباب وحدها وغيرها قطعت معين الخير وازدياد اندفاع حركة المد الإسلامى عن هذه الجزيرة، فأخذت تتدرج نحو الجهالة بالإسلام، ومن ثم تركه من حيث يدرى القوم أو لايدرى؛ حيث قل عدد رجال الدين، وانقطع المدد العربى الشرقى الإسلامى، الذى كان يساعد على تعمق المفاهيم الإسلامية .

وفى ذلك المضمار فإنه يمكن القول أن قبيلة الأنتامورونا، عندما اعتنقت الإسلام فقد كان إسلامها صرفاً؛ حيث تابع القادمون شرح وتوضيح الأمور والمسائل الإسلامية، أما فى بعض الفترات التاريخية فقد اختلطت بعض العادات والتقاليد الوثنية .

ولقد دخلت فى فترة الانحلال والتدهور والانحطاط بعض المفاهيم الخاطئة، فقد بدأ المسلمون المداغشقريون يعتقدون فى المشايخ والأولياء، وجعلوا لها مقامات يذهبون إليها ، كما أن الانتامورونا شأنهم شأن إخوانهم المسلمين من الهوفا لهم كثير من العادات والتقاليد التى تخالف الشريعة الإسلامية، وما جاء فى الكتاب والسنة ، وإن كانت هذه الامور توجد بدرجة أخف عند الانتامورونا؛ بسبب معرفتهم بالخط العربى والقراءة والكتابة العربية، مما شجعهم على قراءة أمهات الكتب العربية والإسلامية ، وقد كان ذلك من أسباب تفوقهم على سائر سكان جزيرة مدغشقر .

ولقد ذكر البحارة «ماركو بولو» الذى مر بالجزيرة عام ١٢٨٠م، فى القرن الثالث عشر الميلادى ، السابع الهجرى، أن الجزيرة ينتشر فيها الدين الإسلامى، على نطاق واسع، وأنها تخضع لحكم أربعة من المشايخ، كلهم يدينون بالإسلام، وهم جميعا مسلمون يعبدون الله رب العالمين .

كما ذكر القس المبشر الإنجليزى هوكت Huckett- والذى ساح فى الجزيرة إلى الشمال، على طول الساحل فترة طويلة- أنه تقابل مع قوم، يقطنون تلك الأجزاء الشمالية

من العرب يقال لهم (انتيمورون)، أو (تيمورون)، والذى لا شك فيه أنهم جالية عربية كبيرة، وأن اسلاف هؤلاء القوم كانوا من العرب الذكور؛ حيث قذف بهم البحر إلى هذا الساحل، وعندهم نسخة من القرآن الكريم مع التفسير، وتراهم يعتزون ويفتخرون بأنسابهم وأصولهم العربية، ومتمسكين جدا بكتابهم الكريم؛ فهم يرجعون إلى كتاب الله فى كل أمر من أمورهم؛ أى إنهم يطبقون الشريعة الإسلامية فى كل امر من أمورهم، ويرجعون إليه عندما يشتد عليهم أمر من الامور .

وكما سبق القول فى البداية: فإن جغرافيى العرب كانوا يجعلون على ما يظن جزيرة مدغشقر فى جملة جزر القمر، ويرونها كبرى هذه الجزر، كما أن بعضاً من يطلق على مدغشقر ، جزيرة القمر الكبرى ، كما أن المسلمين الذين يستقرون على الساحل الغربى من مدغشقر، يسمونها الانجازيجية، وأن الحكومة الفرنسية عندما سكت النقود لسلطان جزيرة القمر الكبرى، كتبت عليها عبارة سيد على بن سيد عمر سلطان نجازيجة، حفظه الله تعالى، وتسمى مدغشقر جزيرة القمر عند أهل عمان، كما أن الجغرافيين الأولين يظنون كذلك ، واما باللغة السواحيلية فيقال لها يوكينى، وهى مركبة من يوكى التى معناها غريب ومن«نى» وهى حرف بمعنى فى، أى إنها يطلق عليها فى بلاد الغريب .

وقد تحدث الجغرافى ابن سعيد فى كتابه «المسالك والممالك» عن جزيرة مدغشقر، ولو أنه أدخلها فى جزر القمر، فقال عنها إنها جزيرة طويلة عريضة، طولها مسيرة أربعة أشهر، وعرضها مسيرة عشرين يوماً، ومن مدنها كدينة (ليران)، وقال إنها هى وماغداشو تحت حكم المسلمين، ولكن أهلها من جميع الأجناس. وقد تحدث الدمشقى عند حديثه عن بحر الزنج أنه به جزراً عديدة منها مدغشقر، وهى جزيرة قنبلو، التى فيها الأبنوس ومعادن الذهب ، إضافة إلى ان البرتغاليين كانوا يعرفون مدغشقر باسم جزيرة القمر .

وعندما دخل الاستعمار الفرنسى الجزيرة، كانت الطامة الكبرى على المسلمين هناك؛ إذ دخل المبشرون مع رجال الاستعمار، بل دخلوا كل بيت، واستطاعوا بعد جهود طالت عشرات السنين أن يدخلوا مليونين من السكان فى الكاثولكية كما يوجد نصف مليون بروتستانت ، اما المسلمون بقى منهم على الدين الصحيح، قرابة ثلاثة ملايين نسمة، وهناك قبائل كبيرة يطلقون عليهم الصقالبة، وآخرون يطلقون عليهم الفلانة ، ولا تزال هذه القبائل تختن أولادها على الطريقة الإسلامية، كما أنهم يدفنون موتاهم حسب الطريقة الإسلامية، ولا يأكلون لحم الخنزير، وأسماء الشهور عندهم كلها عربية، وأزياء نسائهم أزياء اسلامية، وكان هناك مسجد بقرب قصر الملكة بتناناريف، حوله الاستعمار الفرنسى والعياذ بالله إلى

كنيسة، علاوة على هذا؛ فقد بنى المبشرون فى العاصمة وحدها مائة وخمسين كنيسة للكاثوليك، وسبعين كنيسة للبروتستانت .

أما المسلمون فبقى لهم فى تناناريف العاصمة، إحد عشر مسجد، أكثرها بنى حديثاً، والمسلمون سنيون شافعية، وإن كان يوجد بينهم بعض الشيعة، وحركة بناء المساجد قائمة فى أوساطهم بنشاط ملحوظ .

وعندما نقل سلطان عمان، سعيد بن سلطان، مقر حكمه إلى زنجبار فى شرق أفريقيا، فإنه أخذ يرنو ببصره إلى جزيرة مدغشقر، وعمل على ضمها إلى ممتلكاته فى شرق القارة، بعد أن كانت تلك الممتلكات قد امتدت، حتى بلغت حدود الحبشة الجنوبية، وجنوبا فى موزمبيق، وهكذا ضمت إليه مدغشقر عام ١٨٣٣م، عندما تزوج من ملكتها، والتى قامت بفتح الطرق التجارية أمام العرب، مما ساعد على انتشار الإسلام فى ارجاء الجزيرة، بل إنها دفعت له ثلاثين ألف ريال سنويا . ومن ثم أخذ اهالى زنجبار يستقرون فى هذه الجزيرة، فى الوقت الذى أخذ فيه النفوذ الإسلامى يمتد إلى الجنوب .

وفى عام ١٥٢٩م كان اسم مدغشقر قد صار معروفاً لدى الغربيين؛ لاسيما أنهم أشاروا فى كتاباتهم إلى العرب المورو، الذين سيطروا على بعض أجزاء الجزيرة؛ حيث إنه فى عام ١٥٠٦م ثار مورو الجزيرة على البرتغاليين، وكان قد وصل إليها البرتغاليون فى العام نفسه؛ حيث رسا بأسطوله القبطان البرتغالى ترستيان داكوتبا، فى أحد الموانى التى يسكنها المسلمون العرب المورو؛ حيث ثاروا عليه، وعلى البرتغاليين، وحاولوا منعهم من دخول الميناء، زاعمين أنهم يعارضونهم فى دخول ديار إسلامية، بعد أن شاهدوا سفنهم ترفع الصليب فوق الصوارى. وحقيقة الأمر أن هذه الثورة كان هدفها بعد ذلك إخراج المسيحيين من الجزيرة، والذين كانوا يضمرون أشد العداوة للإسلام ، لكن حاكم موزمبيق أرسل بارجة حربية، معلناً الحرب على شعب المورو المسلم، فيما لو استمر المورو فى المعارضة ، ولكن بعد ضرب بلادهم بالمدافع، مال المورو إلى السلم، ولكن البرتغاليين لم يأمنوا شرهم ولم ينزلوا إلى البر، ولكن بعد ذلك وردت سفينة كبيرة من مكة المكرمة، فيها بعض من المورو، فلما علموا بما حدث لإخوانهم انتقموا من الراهب، بعد أن رفض إعلان إسلامه ، بل أخذ يدعو القادمين من مكة المكرمة إلى ترك الإسلام، واعتناق المسيحية، لكن انتهى خبره بعد فترة ، إلا أن البرتغاليين انتقموا لما حدث، وخربوا ديار المورو ورجعوا إلى موزمبيق ، ثم جاءت سفن أخرى من مكة ومن ثم تعزز الوجود الإسلامى .

وقد اتفق المؤرخون على أن مدينة ماتانان هى المدينة الأولى فى شمال غرب مدغشقر،

التى نزلتها الجالية العربية، التى استقرت بها، ومن ثم فإنها اتسعت حتى صارت عاصمة القبائل المدغشقرية التى اتبعت الإسلام، واهتدت بنور القرآن، ولاتزال تلك المدينة حتى الوقت الحاضر هى العاصمة السياسية والأدبية والدينية للمسلمين المدغشقرين فى الساحل الشمالى الشرقى من الجزيرة، وبها يقيم أشهر الفقهاء ورجال الدين والدعوة والقضاة ورجال العلم والفكر والمعرفة؛ بحيث يمكن القول إنها كعبة العلم، ومقصد الفكر، وركن الدين، ومنارة الحضارة الإسلامية لشعب الانتامورو.

وكما سبق القول فإن الرحالة الشهير ماركو بولو الإيطالى البندقى، كان قد أشار إلى انتشار الإسلام فى أنحاء مدغشقر، وذلك فى أواسط القرن السابع الهجرى ، الثالث عشر الميلادى؛ حيث تحدث عن قبائل الانتامورو المسلمين، كما أشار بعض المؤرخين والرحالة الغربيين ومنهم جوشى ، فراشو ، عند زيارتهم للجزيرة عن المسلمين فى الجزيرة، فقال عنهم ان الدين الإسلامى يدين به أهالى وسكان سواحل الجزيرة، وكذلك السواحل المواجهة لمدغشقر وأن الدين الإسلامى لا شك أنه وصل إلى الجزيرة من هذه السواحل الغربية ، كما أشار إلى الأهالى أنهم يختنون أولادهم (الطهارة) ، ولا يشتغلون يوم الجمعة وقت الصلاة، ولا يأكلون لحم الخنزير والحيوانات النجس، وكذلك أهالى جزر القمر الغربية منهم، أكثرهم من العرب والفرس، وجميعهم يدينون بالإسلام، ويتبعون نبى الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم، ويكتبون كتاباتهم باللغة العربية؛ حيث هى اللغة الرسمية فى الجزيرة، ولا يأكلون الحيوانات إلا ما كان مذبوحا، ويتلى عليه اسم الله، لا يقومون للصلاة إلا بعد الاغتسال (الوضوء) ، بل إن اللغة العربية معروفة عندهم، منذ القرن الثالث عشر الميلادى .

وقد أشار بعض الأوربيين دومانداة، الذى زار مدغشقر فى القرن الثامن عشر الميلادى، وقد أضاف فى حديثه عن المسلمين فى الجزيرة ، بأنه توجد أدلة قاطعة بأن جالية عربية وصلت إلى مدغشقر فى اوائل القرن السادس الميلادى، كما قال ان الرهاندوبان أصلهم عرب، جاءوا إلى الجزيرة منذ مائتين وخمسين سنة وعندهم معرفة بالكتابة، ويستعملون الحروف العربية ، وكلنه اضاف بأن الجزيرة كلها لا تعرف اللغة العربية، ولا تدين بالدين الإسلامى، وأن الإسلام والعروبة منتشرة فى الجزء الشمالى الغربى، وأضاف أن العرب أسسوا ممالك عظيمة على ساحل أفريقيا المقابل لمدغشقر، ثم استولوا على جزر القمر، وأنهم يتاجرون مع عمان ومسقط وعدن وحضرموت وسواحل اليمن والخليج العربى، وأن سفن هذه البلاد تتاجر وتتردد إلى مدغشقر ، وأن سكان الجزء الشمالى الغربى توجد لديهم

ثم يضيف المؤرخ الرحالة نفسه أن القبائل المسلمة أيضاً فى الجزيرة، فى الجنوب الشرقى منها، تزعم أنها سلالة قوم من العرب الأشراف المسلمين من أهل مكة المكرمة، الذين هاجروا إلى مدغشقر، وهذه الرواية والانتساب إلى العرب، أو الاسر الشريفة كالعلويين والهاشميين والعباسيين والقرشيين ظاهرة معروفة فى عديد من قبائل أفريقيا، فقد ادعى الفولانى فى غرب أفريقيا أيضاً أنهم قدموا من مكة المكرمة ، بل ان قبائل مدغشقر- زيادة فى ربط الصلة القرشية، مع قدم اعتناقهم للاسلام- يزعمون أنهم قد أسلموا فى زمن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، بل إن دعوة الانتساب إلى آل البيت فاشية ومنتشرة عند مسلمى السواحل الجنوبية الشرقية والشمالية الغربية من مدغشقر، وتوجد فى مدغشقر خمس قبائل باقية حتى وقتنا إلى حد ذكر أنهم أبناء الذين هاجروا إلى مدغشقر من مكة المكرمة، والقوم يعتقدون فى هذه الروايات وصحتها، ويتمسكون بها، وأنها ليست خرافة، ولكن حقيقة كما يزعمون، بل أنهم يذكرون أن رامنيا الذى هو عبد الرحمن قد هاجر هو وزوجته من مكة إلى مدغشقر، على اثر المظالم، التى وقعت على آل البيت، وأن هذا الرجل كان صهراً للرسول صلى الله عليه وسلم ، بل إن هناك روايات أخرى تذكر أن بعض القبائل التى لازالت تتمسك بالإسلام حتى الوقت الحاضر، منها: الاو نجاشى ، والاناكارا، الزافيكار وبميامبو، والزاتيماتو يقولون إن أجدادهم رافقوا رامينا (عبد الرحمن) جد الانتامبا هواكا، فى هجرته من مكة المكرمة، وهذه القبائل تميل بشرتها إلى الحمرة، وشعورهم طويلة، وأنهم أهل شجاعة وبصائر بالحرب .

وتقول بعض روايات المسلمين من الأنتامورو أن الذين هاجروا من مكة إلى مدغشقر، كانوا خمسة أمراء وأنهم: راما كارارو ، دراجوزوفا إندرباما روهالا ، دراليفوازيرى ، واندريابنوا، ويربيه، وأن هؤلاء اضطروا إلى الفرار بسبب ثورة، أسقطت الأول عن عرشه، وثلاثة من هذه الأسماء عربية، وهى دراجوزوفا، وهى محرفة عن الأصل العربى يوسف دراليفرازيرى، وأنها محرفة عن على الوزير ، واندريانبوا وهى اندريانا باللغة المدغشقرية، تعنى الأمير، ثم الوزير، ثم الأمير الصدر الأعظم .

وهناك أقوال تذكر أن هؤلاء القوم قد ذكروا أنهم يزعمون أن أصولهم القديمة من مكة وفى مانجال، وأنهم جاءوا من الهند، بعد ان كان أسلافهم قد قدموا من مكة المكرمة، ووطئوا شاطىء الجزيرة الشمالى، ثم انتشروا إلى الجنوب، وكانوا يذكرون أصولهم إلى أهالى الجزيرة، وينسبون أصولهم العرقية إلى عرب قريش، ومنها ما عرفوا إلى ١٧ سبع عشرة بطناً، ومنها إلى أربع عشرة بطناً، وهم موروا وسوليما، وهم مسلمو الساحل الغربى من مدغشقر،

فإنه يقال لهم أيضاً سوليما، وأغلب الظن أنها محرفة من إسلام، وعندهم القرآن الكريم مكتوباً باللغة العربية، ولهم فقهاء ومشايخ وعلماء يعلمونهم القراءة والكتابة، وهم يصومون رمضان، ويحجون إلى بيت الله الحرام، ويزورون الأماكن المقدسة فى الحجاز، كما أنهم يؤدون الزكاة، ولا يأكلون لحم الخنزير، ويختنون أولادهم، ومنهم من يتزوج بأكثر من واحدة، وألوانهم كألوان مسلمى الهند والجاوى، وأنهم يحافظون على عقيدتهم وأصولهم، ويحفظون أنسابهم مع عدم وجود صلات قوية وثيقة مع سائر بلاد المسلمين إلافيما ندر .

كما أن هناك رؤية أخرى أنه توجد فى مدغشقر طبقة أخرى من البيض، واستقر الرأى على أنهم أرسلوا من مكة المكرمة لأجل هداية أهل مدغشقر إلى الإسلام، فاستولى هؤلاء على مدينة ناتانا، ومهنتهم تعليم اللغة العربية، ويقال لهم زافى كازيمامبو، ولا يستبعد أن يكون مع بداية الدعوة الإسلامية قد ذهب قوم من أهل مكة أنفسهم؛ للدعوة لله فى أرضه الواسعة؛ فاختاروا مدغشقر داراً للهجرة والدعوة ، وعلى هذا فإن الإسلام قد وصل إلى مدغشقر فى القرن الأول الهجرى، وإن كانت هناك أقوال تذكر أن الإسلام وصل واستقر، ورسخت أقدامه فى الجزيرة منذ عشرة قرون؛ أى إن القرن الرابع الهجرى قد شهد بعداً جديداً فى انتشار الإسلام فى الجزيرة ، صحيح أنه لا يوجد أدنى شك أن الإسلام قد وصل إلى مدغشقر فى القرن الاول الهجرى، ولكن دعائمه لم تتوطد إلا منذ القرن الرابع؛ حيث وجدت هناك رعية إسلامية كبيرة، يمكن أن يطلق عليه مجتمع إسلامى فى تلك الجزيرة .

ويتحدث المؤرخون عن انتشار الإسلام فى الساحل الغربى من مدغشقر، وعن وجود المسلمين فى تلك الأرجاء، فنجدهم يذكرون أنهم خمس فرق فى مدغشقر ، وهم الذين يسكنون فى أعالى رأس القبر من شرقيه إلى غربيه، وهم قبيلة الأنتكانكارانا، وهى تعتبر أكبر القبائل عدداً، وأهلها متمسكون بالتعاليم الإسلامية، ويسيرون على النهج الإسلامى، ويعملون فى مجال الدعوة بين غيرهم وإخوانهم من المسلمين، وكذلك توجد قبيلة الأبيوانا، والذين يتخذون من مدينة موجانجا عاصمة لهم؛ حيث يتمركزون حولها، وكذلك قبيلة الساكالافا، وهم أصحاب بلاد الأبونجو والذين من رؤوسائهم الملكة (بارة رافون)، التى تزوجها السلطان سعيد بن سلطان، سلطان زنجبار؛ عام ١٨٣٣م وهى صاحبة خليج (مارامبسى) وتصل إليهم سفن الهند ومسقط وزنجبار حيث تكثر هذه السفن فى التردد إلى الساحل الغربى .

وعلى هذا تبقى حقيقة علمية مهمة وتاريخية، هى أن هناك قوماً من بنى أمية، قد وصلوا إلى جزيرة قنبلو عام ١٣٢هـ/ ٧٥٠م، عند سقوط دولتهم، وأنهم فتحوا هذه

الجزيرة، فلابد لهم أن يكون فاتحو هذه الجزيرة قد وصلوا إلى مدغشقر؛ نظراً لقربها من جزر القمر، وعلى هذا يكون الإسلام قد وصل إلى تلك الأرجاء فى النصف الأول من القرن الثانى الهجرى ، الثامن الميلادى .

وهكذا يكون قد مضى على الوجود العربى الإسلامى بالجزيرة أحد عشر قرناً من الزمان، وهم يعملون ويجاهدون فى سبيل نشر عقيدتهم، والعمل على التمكين لها فى الجزيرة؛ بالإضافة إلى قيامهم بالأعمال التجارية، وربط الصلات الروحية والاقتصادية والثقافية مع إخوانهم فى البلاد العربية، ومن ثم، فإنهم قد وصلوا إلى المكانة الرفيعة فى جزيرة مدغشقر بفضل الدور، الذى لعبوه فى نشر الدعوة، وحركة نشر الثقافة العربية الإسلامية، ونشر اللغة العربية، وتعليم الأبناء اللغة العربية، وتحفيظ القرآن الكريم، والقيام بالأعمال التجارية بين أنحاء الجزيرة وجزر القمر والساحل الأفريقى الشرقى .

وقد لعبت شعوب الساكالافا دوراً لا يقل عن دور اخوانهم فى الإسلام (الأنتامورو)، فنراهم يحفظون الشهادتين: لا إله إلا الله محمد رسول الله، ويقرأون القرآن الكريم، ولكنهم غير متمكنين من اللغة العربية، وغير ضليعين فيها مثل إخوانهم الأنتامورو، إلا أنه مع كل هذا فإنه توجد فى بعض مدن الساكالافا مثل مدينة موجونجا، الجوامع الكبيرة والمدارس الإسلامية، التى لعبت دوراً لا يقل عن غيرها من المدارس الإسلامية العربية، فى إثراء الحركة الثقافية والفكرية والحضارية فى تلك المدينة، وغيرها من المدن الغربية والقرى المحيطة، وتقام الصلاة خمس مرات يومياً، والآذان عندهم مسموعاً ، وتقام مبانيهم على الساحل من الحجارة، وهى لا تقل جمالاً وروعة وهندسة وتنظيماً عن غيرها من المدن العربية الإسلامية، المطلة على ساحل البحر الأحمر، وساحل المحيط الهندى، وكذلك يوجد بعض الهنود الذين هم على المذهب السنى، والبعض الآخر على المذهب الشيعى، الذين يؤدون الصلاة فى مسجد الشيعة ، ولست أعرف سبباً لماذا يقال مسجد السنة والشيعة؛ ذلك لأن المساجد لله، والإسلام لا يعرف المذاهب لا سنة ولا شيعة، ولكن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ،كذلك يوجد فى تلك المناطق الغربية، والذين ساعدوا على نشر الإسلام فى تلك الأنحاء بصورة أكثر فعالية، وهم بعض المسلمين من عمان وزنجبار وأهل جزر القمر، الذين يأتون للدعوة لدين الله الخالد، والقيام ببعض الأعمال التجارية ، والأولاد يذهبون إلى المدارس؛ لدراسة علوم الدين الإسلامى واللغة العربية، وجميعهم أبناء المسلمين، الذين يعملون على نشر الإسلام، وتعميق مفاهيمه فى نفوس أبنائهم الصغار وعقولهم .

وينتشر العرب فى بعض القرى مثل انداموني ، سوالالا ، بالى، وهى القرى التى يأتى إليها البانتو المسلمون (السواحيلية) .

وقد وصف بعض رجال الدين المسيحى من رجال الكاهنوت قبائل الساحل الغربى بالتعصب الإسلامى، ولكن هذا لم يكن صحيحا؛ ذلك لأنهم كانوا يحافظون على عقيدتهم الإسلامية فى مواجهة الخطر الصليبى، الزاحف إليهم؛ لمحاولة الانقضاض على عقيدتهم الغراء، وقد يقصد المؤرخون بعض القبائل الوثنية ، أما القبائل الإسلامية الأخرى مثل الأنتامورو ، الانتامباهواكا ، فقد تلطفت طباعهم كثيراً، وهذّب الإسلام مشاعرهم وطرق تعاملهم، ومن هنا كان الرجل الأوروبى المتعصب للمسيحية يسافر بين بلادهم وقراهم دون وجل، ولقد أحسن المسلمون معاملة الرجل الأوروبى، بعكس الوثنى الذى كان يحاول الاعتداء عليهم ، وللحقيقة: فإن قبائل الساكالافا المسلمة كانوا يكرهون الغريب الأبيض؛ ذلك لأن كل جاسوس لابد ان يكون أبيض، وكانوا يظنون أن الرجل الأبيض إنما هو جاسوس مملكة تناناريف، التى كانت تكره كل الكره استغلال قبائل الساحل الغربى المسلمة، وقد تكون هذه الكراهية مبعثها الرجل الأوروبى نفسه؛ ذلك لأن البرتغاليين منذ القرن السادس عشر وقعت بينهم وبين الساكالافا حروب؛ حيث كان البرتغاليون يقومون بغزوهم من موزمبيق ، ومن هنا نجد بعض المراكز الإسلامية فى مدغشقر، مثل: ماتيرانو عاصمة إقليم ميتاب، كان أهلها يكرهون الأوروبيين؛ لما تعرضوا له من اعتداء على أيدى البرتغاليين ، ومن هنا فإن الإسلام والمسلمين لم يعرفوا الكراهية والبغضاء مثلما يعرفها الرجل الأوروبى .

ولقد كان الوجود الإسلامى العربى مكثفاً فى الجزء الغربى من الجزيرة؛ حيث كانت أعدادهم تفد من زنجبار وجزر القمر، وصفوة القول إن مسلمى الساحل الجنوبى الشرقى للجزيرة قد ائتلفوا وتخالطوا مع الأوروبيين، وأصبحوا لا ينفرون منهم بخلاف أهالى الساحل الغربى، فهم الذين منهم الساكالافا والانتيوانا المسلمون والمنياب ، أما المازيكورو فإنهم كانوا يكرهون الأوربيين نظراً لبشاعة الأعمال، التى كانوا يقومون بها، ومحاولة التبشير بالمسيحية والإنجيل بينهم، ودعوتهم إلى ترك عقيدة الإسلام الخالدة .

ولقد كانت أعمال القسس والرهبان وبناء الكنائس هى التى خلقت العداء مع الأوربيين، فإن الإسلام والمسلمين يعرفون التسامح، ولكن عند الاعتداء وعلى القرآن والعلماء والمساجد ومحاولة الطعن فى رسول الإسلام.. فإن المسلم فى تلك الحالة لا يعرف التسامح، وهو يرى قرآنه الكريم يحرف، ولابد من الدفاع عن المقدسات الإسلامية، وهذا ما حدث مع

الأوروبيين فى الساحل الغربى، ولقد بسط الإسلام لواءه فى أجزاء عديدة من الجزيرة، ولقد ساعد على ذلك تلك الصورة المستمرة والدافعة للحركة الإسلامية، والتى كان يدفعها مسلمو عمان وصور ومسقط والمكلا وحضرموت وزنجبار ، وأهل جزر القمر الأربع ، وإن كان عددهم قليلاً؛ حيث إنهم يجيئون ويرجعون، ولكنهم كانوا يتركون بصماتهم القومية والواضحة فى كل ركن من أركان الجزيرة ، بل إن أكثر الذين كانوا يهاجرون إلى الجزيرة من المسلمين هم المسلمون البانتو (السواحيلية)، الذين كانوا يهاجرون من زنجبار وجزر القمر ، فهؤلاء كانوا يظهرون بمظهر عظيم من الإصلاح والصلاح والتقوى والإيمان، يلازمون المساجد، يدعون إخوانهم للإسلام ودراسة العلوم الإسلامية، وشرح المفاهيم الأخرى المتعلقة بالدين، كما أنهم- كما ذكر الأوروبيون- كانوا يحملون المسابح، ويكحلون عيونهم، ويخضبون أيديهم وأرجلهم بالحناء، ويلبسون الملابس الواسعة، ويطوفون فى الأسواق، ويحثون الناس على العبادات، ويذكرونهم بالثواب والعقاب والجنة والنار، وأخيراً تصير لهم الكلمة العليا عند قبائل الساكالافا، الذين يأخذون منهم التعاويذ والتمائم. وسبب معرفتهم بالقراءة والكتابة والعلوم الإسلامية والفقه والتفسير... أنهم يتفوقون على باقى أبناء مدغشقر، بل إنهم يتزوجون ببنات زعماء البلاد، وأحيانا بالملكات اللاتى يحكمن أجزاء من الجزيرة، ومن ثم تصير لهم الكلمة النافذة فى البلاد، ويأخذون من العوائد والمكوس، وأحياناً يعير منهم الوزراء عن الملوك وسلاطين الساكالافا، وأهل الرأى والمشورة فى البلاد، وذلك يؤدى إلى انتشار الإسلام على نطاق واسع .

ولهذا.. فإن الإسلام قد رسخت دعائمه، وتوطدت أركانه منذ أكثر من أحد عشر قرناً من الزمان، فى تلك الديار، ولا يزال سكان جزر القمر والزنجباريون يذهبون إلى مدغشقر، يدعون للإسلام، ويعلمون المدغشقرين عقائدهم الإسلامية ، إلا أنه مع كل تلك الجهود التى يقوم بها أهل عمان وصور ومسقط والمكلا وحضرموت والقمريون والزنجباريون، إلا أنه لازالت هناك بعض التأثيرات غير الإسلامية، التى لا زالت عالقة بعقول بعض أفراد الشعب، فإننا إذا نظرنا إلى قبائل مثل قبائل الساكالافا والانتامورو والانتامبا هوكا ، نجد أنهم قد تقبلوا الإسلام دون ان يتعمقوا فى دراسة مفاهيمه الخالصة النقية، كما لازالت بعض الافكار الوثنية عالقة بهم ، وكذلك لا توجد كثرة من المساجد والجوامع، وان كانت توجد بعض المساجد فى موجانجا وماتيرانو، والتى بناها العرب والسواحيليون والهنود .

كذلك فإن رجال الدعوة الإسلامية يبذلون جهوداً مكثفة، منذ عدة قرون لهداية

القبائل الكثيرة المنتشرة فى الجنوب الشرقى والشمال الغربى، وغيرها من الأنحاء، وكذلك فى الجنوب والجنوب الغربى والجنوب الشرقى ، بحيث إنه يمكن القول أن رجال الدعوة الإسلامية لم يتركوا شبراً واحداً فى الجزيرة إلا وحملوا فيه لواء الدعوة الإسلامية، ينشرونها بين الاقوام .

ولكن منذ عام ١٨٢٠م شهدت جزيرة مدغشقر جهوداً مكثفة من عمل جماعات التبشير، الذين وصلوا إليها من كل مكان فى أوروبا، من الجزويت وجمعية لندن التبشيرية وأخوات العقيدة المسيحية ، وراهبات ماريوسف، وراهبات التبشير بالإنجيل، والمبشرين النورنجيين، والأمريكيين واليعازريين الفرنسيين ، وبشروا البروتستانت الفرنسيين ، كل هذه الجمعيات أرسلت جيوشاً من الرهبان والقساوسة والراهبات؛ للتبشير بين المدغشقريين. وكما سبق القول، حققوا أكبر نجاح لهم، إذ يوجد أكثر من اثنين مليون من الكاثوليك، ونصف مليون من البروتستانت، نجح هؤلاء المبشرون فى تنصيرهم وتحويلهم إلى المسيحية .

لكن بقيت بقية من المسلمين، يحافظون على دينهم الإسلامى الصحيح، ويقدر عددهم بقرابة مليونين ونصف من السكان، هؤلاء يعملون بأوامر القرآن الكريم ونواهيه، ويتمسكون بكل ما جاء فى الكتاب والسنة ، كما أنهم يؤدون الصلاة والزكاة والحج والصوم والفقه ، وإن كان بعضاً منهم لا يعرفون من الإسلام سوى الاسم .

وخلاصة القول الذى اهتدى اليه هؤلاء، الذين جابوا الجزيرة من أقصاها إلى أقصاها إن الإسلام دخل إلى السواحل الشمالية الغربية والجنوبية الشرقية، من مدغشقر على أيدى العرب أو المسلمين المتكلمين باللغة العربية؛ مما يستدل على أن الكلمات العربية كثيرة ومنتشرة فى اللغة الملجاشية، ويوجد بكثرة فى لغة مدغشقر ، فلا شك أن العرب كانوا فى الساحل الشرقى من أفريقيا الشرقية منذ القرن السابع الميلادى ، ونشروا دعوة الإسلام فى بحر الزنج منذ القرن الثامن الميلادى، فجزيرة قنبلو التى فتحها المسلمون الأمويون عام ١٣٢هـ/ ٧٥٠م، ليست إلا على مسيرة ستين ميلاً من جزيرة مايوت ، وثلاثمائة وخمسين ميلاً من خليج يومياتوك، فى مدغشقر، وهى جزيرة أنجوان الحالية، أى ان العرب نزلوا فى موجانجا ووصلوا إلى مانتانا .

وإن كنا نرى أن العرب قد تكشف وجودهم ووصولوهم إلى الجزيرة، منذ القرن الثانى أو الثالث الهجرى، وأن تلك الحكايات التى يروونها عن مسلمى مدغشقر، وأصلهم من مكة المكرمة، هى فى مجملها الاعتزاز بالاصل العربى، ولكن لم يكفهم أن يجعلوا أنفسهم عرباً،

ولكنهم أضافوا إلى أنفسهم نسبًا قريشيًا شريفًا، بل انهم من آل البيت، على أنه لا يوجد مانع من أن يكون هناك أفراد من قريش، وصلوا إلى مدغشقر، كما سبق القول، وربما يكونوا من الطالبيين، أحفاد على بن ابى طالب، حيث شهد عصر الخلافة العباسية اضطهاد للطالبيين، دون غيرهم من أبناء قريش، لاسيما فى العصر الأموى، وذلك يكون دافعاً على هجرة مبكرة، فى النصف الأول من القرن الأول الهجرى .

اما ما يقال عن سر تخلف المسلمين فى جزيرة مدغشقر، وبقاء بعض العادات والتقاليد الوثنية عالقة فى نفوسهم وتصرفاتهم.. فإن ذلك قد يكون بسبب بعد الشقة والمسافة بينهم، وبين بقية أنحاء العالم الإسلامى، وقد تكون بسبب الظروف التى ألمت بالعالم الإسلامى من جراء غزو المغول والتتار وهجوم الصليبيين ، كما يعود إلى دور مسلمى مدغشقر أنفسهم فى التقصير فى الدعوة الإسلامية، وذلك شأنهم شأن غيرهم من المسلمين، فى سائر الاقطار الإسلامية .

ولو أن ذلك لا ينفى وجود مدارس وكتاتيب وطرق صوفية منتشرة، تمارس دورها فى إرساء دعائم الإسلام، ولكن كل ذلك لم يكن بالصورة المثلى والقوية والأرسخ؛ مما سهل لرجال التبشير أن ينشطوا فى دعوتهم للمسيحية بين أبناء الجزيرة؛ حتى تمكنوا من تنصير تلك الأعداد الهائلة المشار إليها .

إن عدد سكان مدغشقر يزيد عن ثمانية مليون نسمة، يوجد منهم ٢,٥ مليون مسلم ، ٢مليون كاثوليكى، ونصف مليون بروتستاتى، ومن هنا فإنه لازالت هناك ثلاثة ملايين، يعيشون على الوثنية، بل إنهم يدينون بديانة يطلقون عليها (انديامتيران أو زاناهدى)، ومعناها الخالق الواحد أو الله منبع الحياة، وعلى هذا فإنه من الممكن دعوة هذه الملايين إلى الإسلام، بل إن الإسلام من الممكن أن يغطى كل الجزيرة، لو أن هناك خطة اسلامية موضوعية وعلمية، تعمل على إرسال الدعاة والوعاظ والكتب، ومنح المنح الدراسية فى الجامعات العربية والإسلامية لأكبر عدد من أبناء الجزيرة، وتعليمهم فى المعاهد الإسلامية والجامعات أيضًا، ثم إرسالهم إلى بلادهم؛ لكى يقع عليهم عبء القيام بنشر الدعوة الإسلامية، ودعوة القوم إلى أصولهم الإسلامية الأولى .

إن تعميق المفاهيم الإسلامية ونشر اللغة العربيـة لغة مدغشقر الأولى، هو الطريق الى بذر بذور الإسلام فى تربة مدغشقر؛ لكى تؤتى ثمارها المرجوة؛ حيث إن هناك بعض المدارس

والمعاهد العربية الإسلامية، التى تعلم اللغة العربية والعلوم الإسلامية، وأنهم يعملون على نشر دين الله والإسلام، ونشر لغة القرآن الكريم، والتى عمل المستعمر على مطاردة اللغة العربية، وحرمها على أهلها، وحاصر الإسلام حتى كاد أن يقضى على كل أثر للإسلام، ولكنه دين الله الخالد جاء ليبقى « انا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » لا لكى ينسخ كل ما قبله من معتقدات، ولكن لكى يعود إلى الإسلام قوته واصالته فى الجزيرة، فلابد من عمل علمى وموضوعى؛ لكى تشد أزر أخوة الإسلام، الذين يعيشون فى هذه الجزيرة .

لا شك أن هناك عملاً إسلاميًا، ونشاطاً تقوم به الجماعات والجمعيات الإسلامية فى مدغشقر، لا سيما من الجالية اليمنية، والجالية القمرية، والتنازنية، والذين يبذلون جهوداً مكثفة فى سبيل نشر الإسلام، وانشاء المدارس التى تقوم بتعليم الأبناء اللغة العربية، وتحفيظ القرآن الكريم، وهى مقامة فى المساجد نفسها ، ومن هنا فإن الواجب الإسلامى يقتضى تجاه إخوة العقيدة الإسلامية أن نأخذ بأيديهم؛ حتى يقفوا على حقائق العلوم وحقائق الاسلام التى جعلت العلم جزءاً من حياة المسلم .

وهكذا كانت قصة انتشار الإسلام والعروبة فى مدغشقر؛ حيث دخلها الإسلام منذ القرن الأول الهجرى، والتى كانت علامة من علامات المد الإسلامى إلى شرق القارة الإسلامية، وكيف عمل الإسلام على نشر حضارته وثقافته العربية الإسلامية فى هذه البقاع، التى أخذت بيد شعوبها إليها... إلى الإسلام والهداية والإيمان .

* * *

الفصل الثاني

انتشار الإسلام في جزر القمر

لقد كان اول من اطلق اسم القمر على هذه الجزر، هم العرب الأولون، حيث تكون القمر، بضم القاف وسكون الميم، وقد تحرك الميم فتنطق قمراً، ومنها قول الأجانب الأوربيين قومور، وقد ذكر المسعودى فى كتابه «مروج الذهب»، أن جزيرة أنجوان أو قبالو قد فتحت عام ٨٢٤م، على أيدى عرب الأزد من الاباضيين العمانيين، وهناك أقوال تذكر أن ذلك الفتح قد تم فى عام ١٣٢هـ/ ٧٥٠م، وإن كانت المصادر الأوروبية تحاول أن تقلل من البعد الزمنى للانتشار الإسلامى فى تلك البقاع، ومن ذلك نجدهم يذكرون أن تاريخ الفتح العربى الإسلامى لهذه الجزيرة غير معلوم، وإنما كل ما يعرف أو الثابت تاريخياً أن رجلاً عربياً امتاز بالبطولة والكفاءة والشجاعة والإقدام قد وصل إلى تلك الجزيرة، ومن ثم جعل نفسه سلطاناً على جزيرة القمر الكبرى بسلطة واسعة، والذى لا شك فيه أن أحفاد هذا الرجل، هم الذين اشتبكوا فى حروب طويلة مع البرتغاليين، عندما قدموا إلى تلك الديار، ثم وفد بعد ذلك قوم فارين من شيراز العجم، نزلت تلك الجالية الفارسية على سواحل بر الزنج (شرق أفريقيا)، وكان إن وصل إلى جزر القمر، زعيم لهم اسمه محمد بن عيسى، فاستولى على جزيرة القمر الكبرى، وعلى جزيرتى هنجوان ومحلى، وجعل فيها أبنية ملكتين. وجزر القمر هذه أربع جزر تقع فى الجنوب الشرقى للقارة الأفريقية، وهى كالأعلام الإسلامية الهادية فى المحيط الهندى، وكبرى هذه الجزر (جزيرة مرونى)، وفيها العاصمة، وتسمى مرونى أيضا، وطول هذه الجزيرة مائة وستة وثمانية كيلو متر، يزيد وعرضها عن خمسة وعشرين كيلو متراً، يتوسطها جبل شامخ فى العلو، يزيد ارتفاعه عن سبعة آلاف قدم، وعلى سفوحه الممتدة إلى المحيط التى تتلاطم حولها الأمواج، تقع المدن والقرى والمزارع الجميلة، والجبل ممتد على طول الجزيرة. وفى اعلى قمة فيه بركان نارى كبير، دائم الاشتعال وألسنة اللهب تتصاعد فى وسطه، ولكنها لاترى فى المدينة .

وسكان الجزيرة كلهم مسلمون؛ حيث يشكل الإسلام مائة٪ فى المائة، والمذهب الشافعى هو المذهب السائد فى هذه الجزر، ويسكن الجزر الأربعة أكثر من نصف مليون نسمة، واللغة العربية منتشرة بينهم ويعرفها كثير من السكان.

ولقد كانت جزيرة مايوت أو مرونى تابعة فى بعض العصور التاريخية لأمراء جزيرة انجوان، بحسب قول هؤلاء، ولكن سكان الجزيرة لم يكونوا يذكرون اسم أمير جزيرة انجوان فى خطبة الجمعة، إلا فى بعض الفترات؛ مما يجعل التبعية اسمية، وليست لها صفة الدوام والاستمرار. ولكن لما آل امر السلطنة فى القرن الثامن عشر الميلادى إلى السلطان أحمد الذى ملك كبرى جزر القمر فى الفترة (١٧٦٠- ١٧٨٥م)، فإن سكان جزيرة مدغشقر من قبائل الساكالافا قد أكثرت من الغارة على هذه الجزيرة، وكذلك أدت تلك الغارات إلى كثرة الفتن الداخلية والحروب الأهلية؛ مما زعزع ملك سلطان انجوان، فاضطرب حبل الأمن فيها ولم تعد الأمور مستقرة، أو تساعد على انتشار رجال الدعوة الإسلامية؛ للقيام بواجبهم الإسلامى .

وكان السلطان أحمد هذا الذى يسيطر على جزيرة مايوت، ينتمى إلى عائلة وأسرة عمانية عريقة، أقامت فى بلدة تشيخونى؛ حيث كانت تلك المدينة حاضره جزيرة انجوان القديمة، وكانت تلك الأسرة العمانية الأصل التى تحكم انجوان، أسرة ذات ثروة طائلة، وذلك بسبب قيامها بالأعمال التجارية والاتصالات الاقتصادية، مع عديد من بلدان العالم الإسلامى والهند ، وقد ساعدت تلك الثروة الطائلة وحسن الإسلام والعمل فى وجوه الخير والبر، وبناء المساجد، والقيام بالواجب الإسلامى نحو نشر الثقافة العربية ، مما يساعد على أن يقوم أحد أفراد هذه الأسرة العمانية، وكان يدعى صالح بن محمد بن بشير المنظارى العمانى؛ حيث كان واسع الثروة والجاه بأن تزوج ابنة سلطان جزيرة مايوت، والذى كان عربيا عمانيا.

وعندما توفى سلطان مايوت عام ١٧٩٠م . فإن صهره وزوج ابنته صالح بن محمد بن بشير آل إليه حكم الجزيرة، وأنه اضطر إلى المذهب الأباضى، الذى هو احد فروع مذهب الخوارج ، الاباضية ، الصفرية ، الأزارقة وغيرها من فروع الخوارج، وهو المذهب الذى كان عليه اهل عمان، واتخذ مذهب السنة والجماعة منهجاً له؛ حيث اتخذ مذهب الامام الشافعى أحد المذهب الأربعة السنية منهجاً له، وهو المذهب الذى كان يسير عليه أهل جزر القمر.

وقد كان أهل جزر القمر قد جاءوا من ساحل البحر الأحمر الغربى، ثم جاء إليها فى بعض الفترات التاريخية زنوج من زنجبار، وكانت تفد إليها بكثرة سفن العرب منذ عصور قديمة، وقبل ظهور أنوار الإسلام. ولكن النفوذ العربى الإسلامى لم يتوطد فى جزيرة مايوت وانجوان إلا منذ القرن الخامس الهجرى؛ حيث ظهرت رعيه إسلامية كبيرة العدد فى تلك

الفترة، ولقد شهد القرن السادس عشر الميلادى قدوم البرتغاليين إلى تلك الجزر؛ حيث فتحوها ولكنهم مروا عليها كعابرى سبيل. وبعد انصرافهم من هناك، جاءت جماعات من الفرس الشيرازين.

أما جزيرة محلى ثالثة مايوت، انجوان فغاية ما يعرف عنها أن سكانها قوم زنوج، جاءوا من أفريقيا، ثم جاء بعدهم العرب المسلمون وأهل مدغشقر، وفى القرن السادس عشر الميلادى ومع بدايته ١٥٦٠م، قدم قوم من فارس من الشيرازيين، تحت قيادة أحدهم، الذى هو أحد أبناء محمد بن عيسى. وتشارك جزيرة انجوان ومحلى التاريخ الإسلامى المشترك نفسه؛ حيث شهدت قدوم وفود من الزنج والعرب، ثم المدغشقريين، ولما وصل محمد بن عيسى الشيرازى إلى جزيرة القمر الكبرى فإنه ارسل ابنه حسن بن محمد بن عيسى الشيرازى ومعه جماعة من الشيرازيين، الذين قدموا معه وكانت معهم بعض الأسلحة؛ مما اتاح لهم السيطرة على جزيرة انجوان .

والغريب أن الجزيرة الكبرى مروت أو مايوت ليس فيها نهر ولاعيون ولاآبار؛ حيث تنزل عليهم الأمطار متواصلة لاتنقطع طول العام، وتأتى بعدها جزيرة هنزوان، وهى تأتى بعد جزيرة مروت فى السعة والأهمية وكثرة السكان، ويطلق عليها جزيرة انجوان، أما اسم هنزوان فهو اسم أوروبى.

وقد جزى الله السلف الصالح من هذه الأمة المباركة، التى حملت دعوة الإسلام الى هذه الشعوب فى تلك الجزر الصغيرة النائية، حيث بذلوا الصعاب فى حمل الأمانة بإخلاص ونقلها إلى ارجاء المعمورة، والتى بذلت من أجل وصول نداء الله اكبر لا إله إلا الله محمد رسول الله بالدماء والأموال، وباعت كل شىء لله، وفى سبيل الله عز وجل .

وقد ذكر أنه فى أوائل القرن الثانى الهجرى ، نزل العرب هذه الجزر الأربع للدعوة، ونشر الإسلام؛ بجانب أننا لاننكر أن العمل التجارى كان من أهداف بعض دعاة الإسلام، وقال بعض المؤرخين أن نزول العرب هذه الجزر كان ميلاداً صادف ليلة مقمرة، مضاءة بأنوار القمر الفضية الجميلة، فسموها جزر القمر، وقد ذكر العلامة الشيخ برهان مكلا القمرى فى كتابه المحفوظ أن معنى جزائر القمر هو قمر السماء، الذى تشاهده ليلاً، وهى عبارة عن مجموعة من جزر جنوب شرق أفريقيا، وتمتاز هذه الجزائر بمناظرها الطبيعية الخلابة ومياهها العذبة وهوائها العليل الصحى.

ويتكون هذه الجزر من مجموعة عناصر سلالية وعرقية وجنسية متفرقة، ولكنها اندمجت بعضها فى بعض حتى اصبحت أمة واحدة، تجمعها وحدة الدين والعقيدة والمحبة والأخوة الإسلامية، وعاش هذا الشعب قروناً طويلة فى وحدة متأخياً معتصماً متمسكاً بدين الله القويم، دين الإسلام.

وقد ذكر الرحالة ابن بطوطة أنه لما ساح فى أفريقيا، وقصد مدينة كلوه، كان فيها آنذاك سلطان يسمى الحسن أبا الظفر، ويكنى بأبى المواهب، وذكر أن تحت ملكه جزائر القمر، ومن هنا يتضح أن الإسلام قد ازدهر فى هذه الجزر، وتدعمت أركانه ورسخت قواعده؛ مما ساعد على تطبيق الشريعة الإسلامية فى كل أمر من امور الرعية، وهكذا ظهرت فى الجزر حكومات إسلامية، دانت من يوم بدء دخول الإسلام إلى هذه الجزر القمرية الجميلة، إلا أنها بعد ذلك ضعفت ووهنت، وكانت المأساة بدخول الاستعمار الفرنسى إلى هذه الجزر العربية الإسلامية، والذى عمل من جانبه على إبعاد هذه الجزيرة وغيرها من جزر القمر عن جيرانها وأخوة الإسلام فى البلاد العربية الإسلامية، وعمل على إفساح المجال أمام رجال التبشير المسيحى؛ لكى يقوموا بدورهم فى نشر الديانة المسيحية والدعوة لها، ومحاربة التيار الإسلامى بقوة: وكما فعل رجال التبشير فى الساحل الشمال وبلاد الصومال، فعل رجال الاستعمار الغربى فى جزر القمر؛ لأن الوجود الإسلامى كان قد رسخت أقدامه، وتوطدت دعائمه وقيمه؛ حتى خلقت قاعدة إسلامية البلاد؛ حيث توجهت الدولة وجهة إسلامية عربية، وكانت جزر القمر إحدى الدول، التى انضمت مؤخراً للجامعة العربية، وصارت الدولة الثامنة والعشرين فى الجامعة العربية، وبدأت تعمل على تعميق الروح الإسلامية العربية .

جزيرة القمر الكبرى نجازيجه

يطلق على جزيرة القمر الكبرى، التى هى إحدى الجزر الأربع، بل أكبرها من حيث المساحة والسكان. وقد أشار إلى ذلك عديد من الكتاب والمؤرخين الفرنسيين، الذين كتبوا ، وأرخوا لهذه الجزر، التى وقعت تحت سيادتهم وسيطرتهم الإستعمارية؛ حيث كانت الكتابات العربية عن هذه الجزر تكاد تكون ضئيلة بل نادرة، ومن ذلك ما كتبه أحد الفرنسيين، الذى يدعى انيقولا دوبلاية فى كتابه «القومور الكبرى» la grand comore؛ حيث قال إن أرخبيل جزر القمر يتألف من أربع جزر معروفة، هى جزيرة مايوت السابق الإشارة إليها، وجزيرة محلى، وجزيرة انجوان، ثم الجزيرة الكبرى: هذه التى تعتبر أكبرها، وكل هذه الجزر الأربع واقعة فى مضيق موزمبيق، وتبلغ مساحتها نحو مائتى وخمسة وأربعين كيلو متراً، مع انحراف من الجنوب الشرقى إلى الشمال الغربى ، فالقمور الكبرى مابين خطى ٤٠,٥٥ و ٤١,١٢ من الطول الشرقى ، ١١,١٣ من العرض الجنوبى، بينها وبين شاطىء شرق أفريقيا مائة وستون (١٦٠) ميلاً، وبينها وبين جزيرة محلى ثمانية وعشرون ميلاً (٢٨ ميل)، وبينها وبين جزيرة انجوان خمسون ميلا (٥٠ ميل) بينها وبين جزيرة مايوت مائة وتسعة وستون ميلا (١٦٩ ميل)، وطول هذه الجزيرة ٦٦ كيلو متراً، وعرضها أربعة وعشرين كيلو، واكبر ميناء بها ميناء مرونى فى الغرب، وهو العاصمة أيضاً، التى تحكم منها جزر القمر الأربع .

وبها مدينة ميتسامولى فى الشمال الغربى، وشنفيدنى فى الجنوب الشرقى ، وتسليمانى فى الجنوب الغربى، وهى جزيرة مرتفعة فيها جبل، يقال له جبل « الكارتالا »، ويبلغ ارتفاعه الفين وخمسمائة متر، وأن بها عينين أحدهما فى مقاطعة بادجينى، والأخرى فى مقاطعة ميتساموليى.

ويبلغ عدد سكان جزيرة القمر الكبرى مائتى وخمسون الف نسمة، وتبلغ نسبة النساء أكثر من الرجال، ويرجع نقص الرجال بسبب الحروب التى كانت قد وقعت بين سلاطينها مع كثرة المهاجرين إلى زنجبار، إذا انتقل منهم حوالى ١٥ خمسة عشر ألف رجل إلى زنجبار عام ١٨٩٩م .

ويذكر أن العرب قدموا إلى جزر القمر الكبرى، فى القرن العاشر الميلادى، وحطوا رحالهم بهذه الجزر القمرية، بعد أن كان قدومهم من مسقط بعمان وغيرها من البلاد

العربية الأخرى، وقد كان مع العرب أعداد كبيرة من الزنوج، ووجدوا فيها عند حضورهم عدد كبير من قبائل الكفر، لم يعلم عددهم وقت مجيئهم. وباختلاط هذه الأجناس العربية الإسلامية، التى هى من السلالة السامية الخالصة مع المدغشقريين ومع البانتو ، تكون الجنس القمرى الحالى، وكذلك قدم الهنود والعرب إلى هذه الجزر فيما بعد.

ويمتاز الإنسان القمورى بأنه طويل القامة، ويحملون فى أوساطهم خناجر معقوفة بقبضات من ذهب أو فضة، أما النساء فيلبسن الحرير ضافياً، ويجعلن على أكتافهن ورؤوسهن منديلاً من حرير .

وأما المساكن فهى مبنية من الحجر والجير، وأكثرها ذات طبقة واحدة وسطوحها مستوية، وسقوفها ودورها بالخشب والأبواب والنوافذ مصنوعة بالخشب المنقوش المخرم، وهم يقضون اوقات فى الجوامع للصلاة، أو فى ساحات البلدة مستأنسين للراحة والأحاديث، وكل واحد سبحته فى يده .

وجميع القوموريين شديدو التمسك بدينهم الإسلامى، وإن كانت الطبقة العالية المتعلمة أكثر تمسكاً بتعاليم الإسلام ومبادئه الخالدة، أما اهل الطبقات الدنيا فإنهم يميلون إلى الخرافات والجوامع والمساجد كثيرة فى المدن والقرى، ففى مرونى عاصمة جزيرة مايوت اثنا عشر مسجداً مع أن اهل البلدة لا يزيدون عن ٣٥ خمسة وثلاثين الف نسمة، ويقوم المشايخ والفقهاء ورجال الدين بتعليم الأولاد مبادىء القراءة والكتابة، وحفظ القرآن الكريم، ودراسة العلوم الإسلامية الفقهية والشرعية، مع بعض مبادىء الحساب، وجميع السكان يراعون تطبيق الشريعة، ثم مراعاة ذلك فى جميع أمورهم الحياتية، كما أنه توجد مدارس تعلم العلوم العربية الإسلامية واللغة العربية، وهى منتشرة فى كل المدن والقرى ، أما لغتهم فهى نوع من اللغة السواحيلية الزنازبارية وتكتب بالأحرف العربية ، أما لغة دواوين السلطان فهى اللغة العربية العظمى . ومدينة مرونى عاصمة جزر القمر، وهى مدينة جميلة هادئة، أكثر بيوتها تغيب تحت ظلال الأشجار الكثيفة، وبيوتها بيضاء، وذات طابق واحد أو طابقين، وليس فيها العمارات الكبيرة، ذات الأدوار والطوائف المتعددة؛ فهى مدينة ذات طابع شرقى إسلامى .

وعندما خضعت الجزيرة للاستعمار الفرنسى- عندما سيطر على الجزيرة- فقد كانت جزيرة القمر الكبرى مقسمة إلى اثنتى عشرة مقاطعة لكل مقاطعة، منها سلطان يحكمها،

وأكبرهم اسمه سلطان تيبه، ويخضع له جميع السلاطين، وكان السلطان الرئيسى، الأعلى هو السيد على بن السلطان السيد عمر، صاحب مقام كبير فى الجزيرة، وقد كان والده السيد عمر سلطان جزيرة انجوان .

وقد حدث صراع فى الجزيرة بين سلاطينها، أدى إلى وضعها تحت الحماية الفرنسية؛ ذلك لأن سلطان تيبه القمر الكبرى، قد أوصى قبل وفاته أن يكون السلطان أحمد خلفاً له، فلما مات احمد، وأراد السلطان على أحد سلاطين الولايات الاثنتى عشرة تسليم الملك، اعترض عليه بقية السلاطين، وأبوا طاعته والتفوا حول الامير موسى فومو، سلطان إحدى هذه المقاطعات، والذى طمع فى أن يكون سلطان تيبه ، فوقعت الحرب، ودارت رحاها على الامير موسى؛ وذلك بسبب تدخل سلاطين الجزر القمورية المجاورة للجزيرة الكبريك حيث عاونه فى تلك الحرب الدائرة ، سلطان انجوان وسلطان جزيرة محلى، وسكان مدينة بادجينى الكبيرة للسلطان على، وانتهى أمر السلطان موسى. وبعد ذلك قدمت لميناء مورونى بارجة من قبل سلطان زنجبار، تقل القنصل العام الإنجليزى، الذى جاء يعرض على السلطان على أن يدخل تحت حماية السلطات البريطانية، فرفض على حماية بريطانيا، وأرسل إلى قائد مايوت يعرض دخوله تحت الحماية الفرنسية، فلم يحصل يومئذ على جواب، ولكن بعد ثلاث شهور.. ثم وضع الجزيرة تحت الحماية الفرنسية .

وكان السلطان موسى فومو قد طلب حماية إنجلترا، وأرسلت له أسلحة وذخيرة كثيرة؛ لكى تساعده فى صراعه ضد السلطان على ، ومن هنا بادر السلطان على إلى طلب حماية فرنسا؛ حيث عقدت معه فرنسا فى ٦ يناير ١٨٨٦م معاهدة، تتضمن أن يكون لفرنسا الوضع الأول فى جزر القومر الكبرى، دون سائر الاجانب، وأن السلطان لا يتنازل عن شىء من الأراضى لأية دولة أجنبية، ولا يعقد معاهدة مع أية دولة اجنبية إلا برضى فرنسا ، وأن السلطان لا يعزل أحد السلاطين، ولا يعلن حرباً إلا برضى الحكومة الفرنسية، وعند موت السلطان يكون لفرنسا وحدها الحق فى تعيين خلف له، أو تعيين مجلس لإدارة البلاد .

ولكن هذه المعاهدة مع فرنسا أثارت ثائرة القوموريين الذين اتهموا السلطان على بأنه باع جزيرتهم للفرنسيين، وخرب ديارهم، وصاروا عبيداً للاستعمار الفرنسى، وكان أن بدأت الثورة عام ١٨٨٩م فى مقاطعة بادجينى الكبرى، وتولاها أمير اسمه (اواشيبون) فأرسلت فرنسا قوة قتلت أواشيبون، ولكن الثورة ازدادت ضد الفرنسيين؛ مما ادى إلى قتل القنصل الفرنسى بالجزيرة .

أما الإدارة الوطنية قبل حصول جزر القمر على استقلالها من الاستعمار الفرنسى، كانت فى أيدى ثمانية قضاة ومائة واحد وأربعين شيخ قرية؛ فالقاضى يفصل فى الدعاوى وينفذها، ويصدق المعقود، وفى حالة استئناف الدعاوى يوجد مجلس مشكل ومكون من كل القضاة، أما شيخ القرية فيجبى الأموال، ويقوم بالضبط والربط فى القرية، وله أعوان يساعدونه فى مهمته. ولقد أدى الاستعمار رسالته؛ حيث قلب اللغة العربية، التى كانت سائدة إلى لغة فرنسية؛ حيث إن الثقافة الفرنسية هى السائدة، رغم عروبة سكانها، وهكذا حرمت المخططات الاستعمارية على العرب حد التكلم بلغتهم الحبيبة إلى قلوبهم؛ ولذا نشأ الجيل الجديد وهم لا يعرفون لغتهم الأصلية، وهكذا عمل الاستعمار جاهداً على حرب الإسلام واللغة العربية بكل الوسائل .

ويتطلع سكان جزيرة القمر الكبرى إلى عناية ورعاية البلاد العربية والإسلامية لبلادهم؛ حيث إنهم يحسون بالعزلة وعدم توطيد العلاقات والصلات معهم، وهم على حق فى هذا؛ فمثل هذه البلاد تسكنها فئة مسلمة كبيرة، قلوبها وعواطفها وأرواحها مع مسلمى بلاد الشرقى الإسلامى .

جزيرة انجوان

هذه الجزيرة هى أيضاً إحدى جزر ارخبيل القمر، ولها سلطان مستقل، وهى تقع إلى الشمال من جزيرة مايوت إلى الغرب بحوالى عشرين مرحلة، وكذلك تسع مراحل إلى الشرق من جزيرة محلى، و١٥ مرحلة من جزيرة القمر الكبرى، ومساحة جزيرة انجوان ثلاثمائة وثمانية وسبعين (٣٧٨ كيلومتراً، وأعلى قمة جبلية فيها ارتفاعها ١٥٧٨ متراً) وهى جزيرة بديعة، كثيرة الأشجار، غنية بالنباتات؛ لاسيما المقاطعة المسماة مورنى، وإلى الشمال الغربى منها جزيرة صغيرة، اسمها جزيرة السرج. وفى أكثر جزيرة انجوان، نجد مياه جارية تفيض بين الاودية، وفى جزيرة انجوان مراسى وموانى صالحة للسفن ورسوها، وهى: انجوان ، فومبانى ، بوزينى ، باجى ، بانس ، ومرفأ دومونى يصلح لرسو البوارج والسفن الكبرى، وتنقسم الجزيرة إلى عدة أقسام .

وأكبر المدن بها مدينة موتساودو؛ حيث كانت هذه فى عهد سلاطين الجزيرة الذين سوروها بجدران عالية، وحصنوها بقلعة، وهذه المدينة يوجد بها قصر السلطان والمحكمة ودار الخزانة القديمة، وبعض الدور القديمة الباقية، كما يوجد بها الجامع الأعظم بمنارته السوداء ذات المصابيح، وفى الخارج من السور، على طول نهر مورو جامجى، وبها أكواخ السكان .

أما القلعة فهى شاهقة مبنية على صخرة عالية، لها برجان عاليان مربعان، وبرج آخر يرتفع عليه العلم السلطانى الأبيض والأحمر فى الأعياد . وهناك عاصمة ثابتة، اسمها دومونى واقعة فى الجزيرة، ولكن هذه العاصمة لم يبق منها سوى بعض المساجد، وبعض منازل الإشراف. وفى أحد هذه المساجد صومعة منحوتة فى الحجر، داخلها زخارف ونقوش عربية، وهى من الآثار المعمارية العربية ، وإلى الجنوب تقع مدينة صغيرة اسمها مويا ، وفى الجزيرة كلها ثمانين قرية، أكثر أهلها من جنس الماكوا الزنوج .

وجميع سكان هذه الجزيرة أكثر من مائة وخمسين ألف نسمة، وهم يعودون فى أصولهم التاريخية إلى ثلاثة أجناس، هم العرب والماكوا والبوزمنى، ويقال إن أول من عمر هذه الجزيرة هم البوزمن، ثم جاء بعدهم العرب، ومعهم الماكوا والبوزمن، الذين ربما جاءوا من مدغشقر، وقد دخلوا فى الدين الإسلامى فى القرن السادس عشر وإسلامهم خالص؛ فهم يعملون بالأوامر والنواهى القرآنية، ويحرصون على التمسك بالشريعة، وقد رفضوا

الخضوع للسيطرة العربية عند قدوم العرب إلى تلك الجزيرة، ولكن عند دخولهم عقيدة الإسلام: فإنهم تألفوا وتعاونوا وتضامنوا مع إخوانهم العرب؛ حيث صار الجميع إخوة مسلمون .

أما العرب فأصلهم من سواحل الخليج العربى وعمان والبحر الأحمر، وتبدو عليهم سحنة أهل اليمن ، وكل العرب يدعون أنهم أشراف، وأنهم من ذرية الرسول ﷺ وأكثرهم يدعون أنهم طالبيون هاشميون قرشيون، وهم يحافظون على الصلاة، ويؤدونها فى المساجد فى أوقاتها ، وهو يبدون المعارضة والكره للمستعمر الأبيض المسيحى الفرنسى، الذى حاول أن ينشر المسيحية بينهم .

وأما الجنس الثالث بعد البوزمن والعرب، فهم الماكوا وأصلهم من موزمبيق، ومن سواحل شرق أفريقيا، وقد قدموا بصحبة إخوانهم العرب، وفضلوا العمل فى الزراعة، وهم أهل مودة، كما أنه يوجد بعض الهنود فى انجوان، إضافة إلى المدغشقريين . أما لغات انجوان مع صغر الجزيرة، فهى أربع لغات، أكثرها شيوعاً هى اللغة العربية، لغة القرآن الكريم والإسلام، واللغة السواحيلية التى تشكل العربية نحو ٦٠٪ من مفرداتها ثم الانجوانية ، ثم اللغة الماكوية .

واللغة العربية هى اللغة الرسمية قبل قدوم الاستعمار الفرنسى، فهى لغة الدين والديوان والمعاملات، وبها تصدر الأوامر السلطانية ومضابط القضاة وجميع الرسميات إلى اليوم ، أما اللغة السوحيلية فهى لغة التجارة، وكثيراً ما تكتب بها الأوراق الرسمية؛ لا سيما بعد عهد الاستعمار وأثناء احتلاله، حيث عمل على إبدال حروفها العربية إلى الحروف اللاتينية ، أما اللغة الانجوانية فهى خليط من اللغة العربية والسواحيلية والماكوى والبرتغالى والفرنساوى والانجليزى ، ويتكلمون بها فى كل الجزيرة ، أما الماكوية فهى لغة الزنوج، وهذه اللغة تتلاشى أمام اللغات الأخرى .

وينتشر الزى العربى فى الجزيرة، فهى الملابس العربية الفضفاضة مع الكوفية على الرأس والخنجر فى الوسط، ويطبق سكان جزيرة انجوان الشريعة الإسلامية تطبيقًا تاماً، ويعملون بجميع أوامرها ونواهيها، وإن كانت توجد بعض العادات، التى تتنافى مع بعض المبادىء الإسلامية ، وكذلك تسود المفاهيم الإسلامية؛ حيث انهم يحكمون عن طريق السلطان، ولكنهم يرون أن تملكهم للأراضى الزراعية هو لله تعالى ومنه، وينتشر بينهم المذهب السنى الشافعى حيث يقوم حكم القضاء بناء علي ما جاء بالمذهب الشافعى والكتاب والسنة، والكتب التى يعتمدون عليها بعد القرآن الكريم والسنة كتاب «نهج الطالبيين» و«الفتح العربى».

وللجزيرة قاضٍ واحد كبير، هو قاضى مدينة آمو تسامودو، وكان السلطان فى الماضى يبلغ الحكم، عن طريق مجلس شورى مشهود من الأعيان والقضاة، أما الآن فإنه لم يبق للسلطان إلا إعطاء النصائح، والقاضى الكبير موضع احترام وتقدير وحب الجميع حكومة وشعب؛ حيث يعمل على جمع الرباط الأخوى بين المسلمين، ويحرص سكان الجزيرة على تعليم أولادهم وتحفيظهم القرآن الكريم والعلوم الإسلامية؛ وذلك لكى يشبوا متمسكين بالإسلام وتعاليمه، وتكون لديهم القدرة على مواجهة التحديات، فنجد أنه فى سن السادسة يرسلون أولادهم إلى الكتاب ذكوراً وأناثاً، ولا يفصلون بين نوعيهم إلا فى سن البلوغ، ويقوم الشيخ أو الفقيه بتعليمهم القراءة والكتابة والحساب والتقويم، وكل ما له صلة بالإسلام وتشريعه والفقه وعلوم اللغة العربية، ويكتب لهم آيات القرآن الكريم، على ألواح بيضاء التى لا بد للأولاد أن يحفظوها، وإذا حفظوها يتم مسحها وكتابة غيرها حتى يتم حفظ القرآن الكريم كاملاً .

ويواظب أهل جزيرة انجوان على تأدية الصلوات الخمس فى ميقاتها وفى يوم الجمعة يخرج السلطان إلى صلاة الجمعة وأمامه اثنان، يحملان العلم السلطانى والمظلة السلطانية، ويصحبه بعض القوم فى ذهابه لصلاة الجمعة .

وجميع الأهالى حريصون على صوم شهر رمضان المعظم؛ حتى أن بعض الزنوج من غير المسلمين يقوم بصوم رمضان، مراعاة لشعور اخوانهم المسلمين، كما أنه يوجد بعض الأوقاف التى توقف على المساجد ودور العلم، ومربوط فيئها للصرف على هذه الأغراض الدينية، وإن كانت تلك الأوقاف بصورة قليلة. وبالإضافة إلى المساجد ودور العلم، يوجد بعض القوم، يقفون ممتلكاتهم على وجه البر وصرفه فى سبيل الله، وجعل نظارته فى ذريته حفظاً لثروة البيت، وذلك حرصاً على عدم بيع الوقف فيما بعد، ولا شك أن الوقف كان معمولاً به أولا فى مصر، وقد يكون وصل إليهم مع المذهب الشافعى من مصر .

والصناعات فى جزيرة انجوان قليلة؛ فهم يعملون فى الفخار والحصر والزنابيل، وعندهم مطاحن على الهواء، ويستخرجون عصير السكر، ويقوم العرب بزراعة قصب السكر والكاكاو، وعندهم كثير من زراعات البن، التى قدموا بها من اليمن. أما التجارة فلهم بها باع طويل، فهم تجاراً وبحارة ومنذ القرن السابع عشر الميلادى، كان أهل انجوان يقومون بنقل البضائع إلى مدغشقر وبلاد شرق افريقيا، وإلى الخليج العربى وعمان واليمن ومسقط .

وتاريخ انجوان الإسلامى والوجود العربى يشكل حلقة فى سلسلة حلقات تاريخ سائر جزر

القمر ، فقد استولى البرتغاليون على انجوان فترة من الزمن، ثم ثار الأهالى فى وجوههم واضطر البرتغاليون إلى تركها ، ثم قدم إليها من شيراز بفارس الشيخ محمد بن عيسى الشيرازى مع جماعته، ونشروا فيها الإسلام، واستقر بها ابنه حسن بن محمد بن عيسى الشيرازى، فتلقاه أهلها بالبشر والترحاب، ونصبوه سلطاناً عليها، وقام ببناء المساجد فى جميع القرى، وعمل على نشر التعاليم الإسلامية، ونشر حضارة الإسلام فى ربوع الجزيرة، وأسس بنفسه سلطنة انجوان؛ إذ كان زعيم بلدة موتسا موندو، الذى كان يدعى فانى على، قد زوجه ابنته فتزوجها، وتلقب بالسلطان، ثم خلفه ابنه محمد، وتزوج بابنة حاكم جزيرة مايوت، فألحق بهذا الزواج مايوت بحكم انجوان، ثم أضاف إلى ملكه جزيرة محلى، واطاعة ملوك القمر الكبرى، وعلى هذا أصبح السلطان محمد بن حسن بن محمد بن عيسى الشيرازى سلطاناً، على جميع الجزر القمرية الأربع المشهورة، وأيضا الجزر الصغرى المجاورة لها، والتى تخضع لنفوذه الإسلامى .

لكن هذه السلطة الواحدة على جميع الجزر لم تظل طويلا، إذ انقلبت الطاعة الفعلية إلى طاعة اسمية فى عهد ابنه عيسى بن محمد بن حسن ، ثم مات عيسى، وعهد بالإمارة إلى امرأته مولانة، فأعلن أهالى جزيرة مايوت الخروج عن طاعتها، وأعلن أحد الأمراء ويدعى مواتيا فانى الثورة عليها؛ مما اضطرها إلى الفرار إلى مدينة دوبرنى، وقد وصلت إليه سفن هولندا؛ حيث زار احد بحارة هذا الاسطول تلك الجزيرة .

وقد توسع سكان الجزيرة فى بناء المساجد؛ حيث تم إنشاء الجامع الكبير فى عام ١٦٧٠ فى مدينة موتسامودو، ولكن بعد فترة دخلت جزيرة انجوان فى صراع مع مدغشقر؛ مما اضطر اهالى مدغشقر للغارة على انجوان، والسيطرة عليها، وأحرقوا قراها، واستباحوا حرمتها، وأسروا رجالها وقتلوا أسراها؛ فقام بعض الأمراء أحفاد السلاطين القدامى فى وجوههم، ودفع غارات المدغشقريين، ثم خلفه الشيخ سليم وتسلطن حتى عام ١٧٩٧م، فمات وبويع ابنه أحمد، وهو دون سن البلوغ، فقام عمه علوى بثورة؛ لكى ينفرد بالملك ففشل والتجأ إلى زنجبار، ثم عاد بعد سنين، وخلع السلطان احمد، وتولى مكانه، وبقى فى الملك حتى عام ١٨٢٠ . وبعد موته خلفه السلطان عبد الله الأول، وقضى معظم وقته فى قتال زعيم مدغشقر راباناتيكا. وكان هذا الملك هو ابن عم راد، أما ملك الهوفا أكبر قبائل مدغشقر ، فبعد موت الملك فر مع جماعته من مدغشقر والتجأ إلى انجوان .

الصراع فى الجزيرة : كان السلطان عبد الله الأول يمتاز بالكرم والنجدة وحسن

الضيافة؛ فلجأ إليه أحد زعماء قبائل الهوفا، ولكن ذلك المضيف لم يقابل كرم الضيافة إلا بالتمرد؛ حيث قام وصحبه من الهوفا بالثورة وأعلن الحرب على السلطان عبد الله الأول، فدارت الدائرة على المدغشقرى الهوفى : راماناتيكا ولكنه فر من جزيرة انجوان إلى جزيرة محلى؛ حيث استولى عليها ومن معه من قوات ، فأخذ السلطان عبد الله يجهز القوات؛ لكى تخلص جزيرة محلى من سيطرته، واستطاع السلطان عبد الله أن يسترد محلى؛ حيث كانت تلك الجزيرة تحت حكم سلطان من قبيلة الساكالاف المدغشقرية، والذى عمل على طرد زعيم الهوفا، وطارده عبد الله الأول من جزيرة مايوت، وطرده منها، ونصب الأمير السوكالافى أميراً عليها .

وقد تولى السلطة بعد السلطان عبد الله ابنه علوى، ولكن الفتن اشتعلت بين علوى ابن عبد الله وعمه سالم، الذى طمع فى الإدارة والإمارة، ثم اشتعلت الفتنة بين العم وابن أخيه، فزحف سالم برجاله، وتمت محاصرة علوى بن عبد الله؛ مما ساعده على الوقوف فى وجه الحصار، الذى فرضه عمه سالم عليه لمدة أربع سنوات ، لكن سالماً عمل من جانبه على عدم وصول الإمدادات من أهل مايوت، وحال دون وصولها إلى علوى ، ثم تحالف مع سلطان جزيرة محلى، وتعاونا سوياً على مهاجمة مدينة موتسامودو، ولكن علوى تسلل من تحت الحصار، وذهب إلى جزيرة القمر الكبرى، ومنها إلى موزمبيق؛ حيث أخذه الإنجليز أسيراً إلى كلكتا بالهند؛ حيث مات هناك عام ١٨٤٢م، وانفرد سالم بالجزيرة والحكم، ودفعه الإنجليز بعد القبض على ابن اخيه علوى، بمقاومة الاحتلال الفرنسى، وذلك على اعتبار أن جزيرة مايوت تابعة لسلطان انجوان. لكن بعد موت سالم تولى الحكم بعده ابنه عبد الله بن سالم الملقب بالكبير، وكان صديقاً للإنجليز فوقع معهم معاهدة صداقة، وقد حدثت فى عهده ثورة، قام بها عام ١٨٥٤م علوى حسينى، ولكن تلك الثورة فشلت ، إلا أنه فى عام ١٨٨٢م قام محمد بن سالم شقيق السلطان عبد الله بالثورة ضد أخيه، ولكن السلطان هزمه مرتين، ثم عفا عنه. ولكن تلك الثورات والحروب الداخلية ساعدت على انهيار حالة الجزيرة؛ مما اضطر السلطان عبد الله بن سالم الملقب بالكبير أن يطلب فى ١٥ اكتوبر ١٨٨٧م حماية فرنسا، التى أصدرت أوامرها بفرض الحماية .

وهكذا عملت السياسة الفرنسية- عن طريق ارسالها المقيم الفرنسى فى انجوان- إسقاط النفوذ العربى، والإقلال من سلطة السلطان، ولكن حدثت اعتداءات من جانب العرب؛ نظراً لتدخل المقيم الفرنسى فى الشئون الداخلية، ولكن المقيم الفرنسى انسحب إلى جزيرة

مايوت؛ حيث جاء بسفن حربية، وفى تلك الفترة مات السلطان عبد الله بن سالم، وقيل مات مسموماً أو مخنوقاً .

وفى ذلك الوقت بايع الزنوج السيد عثمان بن سالم شفيق عبد الله ، وبايع أهل مدينة ماتسامودو السيد سالم ابن عبد الله، فهاجم الزنوج المدينة، وأجبروا سالم والعرب الذين معه إلى ان يهربوا وينسحبوا إلى مدينة دومونى، وسار عثمان إلى تلك المدينة خلفهم، وقتل كثيراً من أعيانها، ونهبها، وقبض على اخيه سالم ورهطه، وجاء بهم إلى موتسامودو .

وفى ذلك الوقت قدم الأسطول الفرنسى، وسلم سالم الأمر، أما عثمان فبقى شهرين يقاومهم إلى أن فرغ ما عنده من سلاح، واضطر فى النهاية إلى التسليم؛ فنفى عثمان وسالم معاً إلى جزيرة كبدونيا الجديدة فى المحيط الهادى، وهكذا خضعت انجوان للسياسة والسيطرة الفرنسية الاستعمارية .

وتلك هى قصة الإسلام وتاريخه وانتشاره فى جزر القمر الأربعة، وكذلك فى بقية أنحاء شرق القارة الأفريقية، منذ العصور الأولى لظهور أنوار الدعوة الإسلامية، وسيراً مع الأحداث فى العصور الإسلامية، حتى قدوم حركة الاستعمار الحديثة الأوروبية: الإنجليزية والفرنسية والألمانية فى القرن التاسع عشر الميلادى .

الخاتمة

إنه من خلال تلك الدراسة عن حركة المد الإسلامى فى شرقى أفريقيا والقاء الظلال الإسلامية فى تلك البقاع القريبة من الاراضى العربية الإسلامية فى آسيا وجنوب غرب هذه القارة فإنه يتضح لنا كيف تم الانتقال البشرى من آسيا إلى افريقية عبر باب المندب وبحر العرب حيث كانت تلك الظاهرة لاتزال آثارها ظاهرة ترى رأى العين فى الساحل الشرقى الأفريقى حيث كان طريق باب المندب اهم طرق الهجرة وكذلك اهم طرق التبادل التجارى والحضارى قبل الإسلام حيث ترك عرب الجزيرةفى الجانب الأفريقى أثرهم الحضارى والثقافى والعمرانى ،ذلك لأنه من المعروف تاريخياً أن عرب اليمن وجنوبى الجزيرة وساحل عمان قد هاجروا إلى الحبشة والساحل الشرقى (ساحل صوماليا ، ساحل الزنج) ونشروا ثقافتهم العربية فى وقت يرجع إلى عهد بعيد ايضا وفى حقيقة تلك الدراسة أن نقطة انطلاق التاريخ فى تلك المنطقة متصل اتصالا وثيقا بجنوب الجزيرة العربية ، إذا تدفق الساميون غزاة احيانا وتجاراً احيانا أخرى .

وبذلك كان العرب على صلة وثيقة بل عميقة الجذور بأفريقيا منذ القدم عن طريق التجارة والهجرة وخاصة إلى السواحل الشرقية من القارة ولا تزال آثارهم خير شاهد على ذلك . حيث كانت هذه المنطقة بحكم موقعها على الساحل المقابل لجنوب غرب الجزيرة المجال الحيوى للجماعات التى خرجت من بلاد العرب بصفة عامة وبلاد اليمن وجنوب الجزيرة العربية بصفة خاصة للتجارة وطلب الرزق أو لاتخاذ مواطن جديدة هرباً من حالات الذعر .

ومن المؤكد أن العرب كان لهم تأثيرهم الواضح فى شرق أفريقيا ، يدل على ذلك أن الاغريق والرومان اطلقوا عليه اسم ساحل عزانيا نسبة إلى احدى الممالك القديمة التى كانت فى جنوب شبه الجزيرة العربية فى فترة سابقة على ظهور الإسلام لم تحدد تحديداً قاطعاً وجدير بالذكر، أنه على الرغم من معرفة الاغريق والرومان لساحل شرقى أفريقيا، إلا أنهم لم يتصلوا به اتصال العرب .

ولقد أقام العرب بعض المراكز التجارية على الساحل؛ حيث كان يصل إليهم رجال القبائل الأفريقية، يحملون إليهم الذهب والصمغ وغيره من منتجات بلادهم، ويقايضونهم بما لدى العرب من بضائع، وقد اضطرد نشاط حركة التعامل التجاريك فوصلت تجارة الذهب إلى درجة كبيرة من الانتعاش .

وقد شهد شرق القارة الافريقية حركة هجرة واسعة، على أثر انهيار سد مأرب باليمن؛ حيث خرجت من جنوب الجزيرة العربية هجرات عربية إلى مختلف الأنحاء الشرقية الأفريقية؛ حيث كان القرب الجغرافى، والمعرفة السابقة للساحل، والإخوة وأبناء العمومة قد سبقوا بالهجرة إلى تلك الأماكن فى أزمان سحيقة فى القدم ، وقد كان ربط الهجرات القديمة بالهجرات الحديثة اللاحقة بعد انهيارسد مأرب؛ مما زاد فى التأثير العربى فى سكان الساحل من قبائل البانتو ، وقد كانت هناك هجرات عربية شملت أعداداً كبيرة من التجار، قد استقرت على الشاطىء الغربى للبحر الاحمر فى منطقة الحبشة، وبمرور الزمن تزايدت أعدادهم، وكونوا مراكز تجارية فى مناطق متفرقة بطريقة تشبه- إلى حد كبير- ما حدث فى ساحل الزنج؛ فتكونت مراكزحضارية، فظلت لفترة طويلة على صلة بالوطن الام .

ويشير بعض المؤرخين إلى عدم توافر المعلومات الكافية عن حالة العرب، فى ساحل شرق أفريقيا، فى الفترة السابقة لظهور الإسلام ، إلا أن الذى لا شك فيه أن الصلات كانت قائمة لاتكاد تنقطع حتى ظهور الإسلام ، كما أنه يمكن القول أنه لم تكن للعرب قبل الإسلام اتصالات دائمة ومكثفة بشرق أفريقيا لاسيما الجزء الجنوبى المعروف بساحل الزنج، الذى يصل إلى سفالة من موزمبيق جنوباً، إنما كانت الصلات تقتصر فقط على عمليات التبادل التجارى ، وهكذا فإنه لم يكد القرن الاول الميلادى ينقضى، حتى كان هؤلاء العرب قد انطلقوا من مرحلة الرحلات الخاطفة إلى مرحلة الاقامة والاستقرار، فقد أنشأوا مراكز على طول هذه السواحل، وأقاموا فيها، وجلبوا أهلهم وذويهم، وطاب لهم المقام؛ حيث كانت هذه المراكز القديمة تنشأ على جزر قريبة من البر، يمكن الدفاع عنها، إذا اراد السكان الوطنيون المنتشرون فى الساحل أن يتعرضوا بسوء لها .

وليس من شك فى أن نتائج هذا التأثير العربى قد أدت إلى انتشار الدماء العربية، ممتزجة فى الأغلب بدماء من البانتو، حيث تكون الشعب السواحيلى.

وهكذا كان من الطبيعى أن تزداد تلك الصلات بظهور أنوار الإسلام، وتبدأ صفحة جديدة فى تاريخ العلاقات العربية الأفريقية، وفى هذه الفترة قام العرب والمسلمون بالدور الإيجابى فى هذه العلاقات. وبالنسبة للجزء الشمالى من الحبشة، كانت قريش تتخذ أرض الحبشة متجراً لها . ولهذا كانت هجرة المسلمين الاوائل إلى تلك الديار؛ حيث أرسل الرسول ﷺ فى العام الخامس من البعثة النبوية عام ٦١٤م، وقدم إلى ملك الحبشة، وذلك إثر العلاقات الطيبة التى كانت بين الرسول ﷺ وملك الحبشة . وهكذا تبلورت العلاقات بين العرب والحبشة فى العصر الإسلامى إلى دور جديد، فكثر توافد العرب المسلمين على الحبشة؛ من أجل التجارة، بعد أن دانت شبه الجزيرة العربية للإسلام، وأصبح المسلمون يتحكمون فى التجارة الشرقية؛ حيث عبرت مجموعات إسلامية الساحل الغربى للبحر الأحمر، وأسسوا لهم مراكز استقرار دائمة، وكان أول اتصال واحتكاك بين الدولة الإسلامية والحبشة، فى عهد الخليفة الراشد الثانى عمر بن الخطاب على ٢٠هـ / ٦٤٠م؛ حيث أرسل الخليفة سرية إلى الحبشة، وربما إلى جزر دهلك القريبة من شواطىء إلى الحبشة؛ لدفع أذى الأحباش وحماية شواطىء البلاد العربية من أى خطر يأتى من ناحية الأحباش، وقد وجدت فى تلك الجزر القريبة من الشواطىء نقوش عربية إسلامية، يعود تاريخها إلى منتصف القرن الثامن الميلادى .

وقد كان الانتشار العربى الإسلامى ما هو إلا طور من أطوار الاتساع العربى الإسلامى؛ حيث كانت نتيجة نشاط الإمارات القريبة على ساحل حضرموت وعمان واليمن والحجاز ، بل ربما يرجع إلى جماعات كانت تفد إلى المنطقة، بقصد الاستقرار أو الاندماج والتجارة، وهكذا ظهرت لسكان شبه الجزيرة دوافع لمحاولة الاستقرار الدائم فى سواحل أفريقيا الشرقية، وإقامة كيان سياسى وعربى إسلامى . وبالتالى زادت الروابط بين العرب وشرق أفريقيا، ولم يقتصر الأمر على عرب شبه الجزيرة ، بل زاد أيضاً اتصال شرقى أفريقيا بكافة الدول العربية الإسلامية .

ولقد كانت الهجرات العربية للساحل الشرقى لأفريقية تزداد؛ بسبب المنازعات العربية والسياسية والمذهبية، كما كانت تجلب معها صوراً من صور الحضارة العربية الإسلامية من إقليم الأحساء والبحرين ، وعمان وحضرموت واليمن إلى شرق أفريقيا .

كذلك.. فإن المراكز العربية الإسلامية فى الحبشة- شأنها فى ذلك شأن بقية المراكز العربية على طول الساحل الشرقى- قد اتسمت بالطابع الإسلامى العربى التجارى، ومع كل هذا فإن الساحل لم يطبع انطباعاً تاماً بالطبعة العربية، ويرجع ذلك إلى اختلاف السكان وتباين اجناسهم وتعدد عناصرهم، وإن كان قد ترتب على ظهور الإسلام وهجرة المسلمين إلى شرق أفريقيا، انتشارالدين الإسلامى .

وقد أدى التطور الحضارى لظهور المدن العربية الإسلامية ، أن تحولت المراكز التجارية إلى إمارات عربية إسلامية، يسكنها المهاجرون العرب ، على أنه يلاحظ أنه فى بداية الامر أن الثقافة واللغة، التى انتشرت على يد هؤلاء لم تتعد الساحل والجزر القريبة منه، ولكن بمرور الزمن امتد ذلك التأثير إلى الداخل؛ حيث أسلم المقيمون بها من الزنوج والمختلفون إلى الساحل، وهكذا..كان ذلك سبباً جوهرياً لظهور هذه المدن فى سماء الحياة العربية الإسلامية .

وقد كان العرب يمثلون الطبقة الارستقراطية فى هذه المدن، وغلب الطابع الإسلامى وازداد بعد ذلك تدفق الموجات الإسلامية المهاجرة من الخليج العربى والجزيرة العربية، وهكذا كادت المنطقة الممتدة من ارتيريا شمالاً حتى موزمبيق جنوباً -من أثر الدعوة الإسلامية والدعاة- أن تكون جزءاً من العالم العربى الإسلامى الخالص، وهكذا كانت تلك المناطق تشبه فى تطورها الحضارى والإسلامى مناطق مسقط وعمان وحضرموت والإحساء وعسير والحجاز .

وهكذا أحدث الإسلام وما تبعه من مظاهر حضارته إسلامية، واستيطان عربى إسلامى أثره الكبير، كما أحدثت التجارة أثرها الكبير فى ساحل شرق أفريقيا، وهكذا كان ذلك الاستقرار سبباً له أثر كبير، ومؤثراً فعالاً؛ إذ إنه كان من أسباب استقرار العرب، قيام العلاقات على أساس من الود والأخوة الصادقة؛ حيث وجد أهل البلاد فى هؤلاء القادمين، نوعاً من الحماية، فازداد تقربهم إليهم واندماجهم فيهم، وارتبطوا معهم برباط المصاهرة والزواج، وهكذا كان جيل المولدين السواحيلية هو عماد الحياة فى المراكز الإسلامية فى شرق أفريقيا والحبشة، التى ارتبطت بالعرب ارتباطاً وثيقاً، تمثل فى الدين الإسلامى واللغة العربية (السواحيلية)، ثم رابطة الدم ايضاً .

ولقد أحس الوطنيون البانتو ، أن العرب جاءوا من أرض النبى، وأن كثيراً منهم لهم صلة نسب بالرسول ﷺ، ومن هنا تقربوا إليهم وتعاونوا معهم فى نشر الإسلام ، حيث لقى المهاجرون ترحاباً وبسطة فى العيش، وحسن معاشرة، وهكذا طاب لهم الاستقرار فى تلك البقاع .

ولقد حدثت منذ القرن الاول الهجرى ، السابع الميلادى، هجرات واسعة، أشرت إليها فى صلب ذلك البحث، والتى كانت تؤتى ثمارها فى ظهور إمارات عربية كمدغشقر وباتا وممبسا وزنجبار وبراوة وكلوه وموزمبيق وسفالة، وإمارات الطراز الإسلامى فى الحبشة ، حيث كانت تموج تلك المدن بالعناصر العربية؛ حيث ازداد الترابط بين عناصر السكان العرب والأفارقة ، وعلى هذا فقد كان استيطان العرب يمتد حتى سفالة جنوبى نهر الزمبيزى ،على الرغم مما قيل من أن استيطانهم الحقيقى يرجع إلى القرن الثامن الميلادى ، فى حين كان ذلك قبل هذا بقرون عدة .

وهكذا أصبحت المنطقة الشرقية للقارة الأفريقية، توصف بأنها سلطنات عربية إسلامية، وهكذا نعمت الشعوب الأفريقية الإسلامية بالحكم الجديد، وتعاونت معه فى ظل الأخوة الإسلامية .

ولقد ازداد تدفق الهجرات العربية عبر القرون إلى شرق أفريقيا، حيث كان له أثر كبير فى نشر رسالة الإسلام على نطاق واسع، بل امتد أثر هذه الهجرات إلى أن تصبح تلك المدن مدناً عربية إسلامية خالصة، بل إنه كان من آثر وأبرز معالم الدور الإسلامى، أن الدعوة الإسلامية استطاعت- بما حملته من قيم إسلامية ومبادىء روحية وتعاليم ومفاهيم إنسانية وحضارة عربية- أن تؤثر فى حياة هذه الشعوب البدائية أثراً بعيداً، وهكذا شارك الأفارقة عن طريق الإسلام فى بناء الحضارة العربية الإسلامية الأفريقية، فى ذلك الجزء من القارة، وهذه نقطة مهمة فى تاريخ الاستقرار العربى الإسلامى؛ حيث أدى ذلك إلى سهولة الاتصال بداخل القارة.

وهكذا برزت معالم الحضارةالإسلامية فى فن البناء والمدن والعمارات الزاهرة والمساجد ومبانى الإدارة السلطانية؛ حيث استطاعت هذه المجتمعات- بعد أن تنوعت مصادر الثروة- أن تصل إلى درجة عالية من الثراء والازدهار الحضارى .

كما أنه كان من ابرز مظاهر الحضارة الإسلامية قيام العرب باستغلال المناجم فى الساحل الشرقى الأفريقى ، كما أن العرب أدخلوا إلى شرق أفريقيا المحاصيل الزراعية، التى لم تكن معروفة، وكذلك تربية الماشية والأغنام والإبل التى أصبحت من أهم صادرات المنطقة .

كما أنه مع تزايد وتطور العلاقات، انتشر الإسلام واللغة العربية بين الطرفين، ولعب العرب دوراً كبيراً فى تحفيظ القرآن الكريم، وشرح تعاليم الشريعة وعلوم اللغة العربية، وكل ما يتعلق بالدين الإسلامى .

ومن هنا فإن الثقافة العربية الإسلامية تأثرت بموقع المدن الإسلامية، وطبيعة الحياة فيها؛ حيث ترك الاتصال المستمر بالعالم الإسلامى أثره فى الحياة الثقافية فى البلاد ، كما كان فقهاء بلاد اليمن وعمان والخليج وعلماؤها أكثر المسلمين وفوداً إلى هذه الجهات؛ حيث طبعوا الحياة الثقافية بطابعهم الإسلامى وآثروا فى الحركة الإسلامية .

ولقد كان هذا التطور الحضارى فى بناء المساجد يعنى غلبة الطابع الدينى على الثقافة العربية الإسلامية، ومن هنا فإن مدن شرق أفريقيا جميعها قد ظهرت بالمظهر الإسلامى، وقد لعبت الحركة التعليمية الأسلامية دورها كمظهر من مظاهر التطور الحضارى والثقافى الإسلامى فى هذه البلاد ، ومن هنا فإنه يمكن القول أن النشاط التعليمى فى علوم الدين واللغة العربية كانا يتقدمان بمدى انتشار الإسلام بين الأفارقة، ومدى استجابتهم لتلقى العلوم الإسلامية، التى كانت تلقى إقبالاً وترحيباً من سكان البلاد، بمجرد إعلان إسلامهم؛ إذ كانوا يسعون إلى حفظ القرآن الكريم ومعرفة العلوم الإسلامية .

وهكذا فإن تلك الشعوب الأفريقية التى اختلطت بالعرب، أدت إلى ظهور جيل للمولدين، مسلمى العقيدة، وتعربوا لساناً وامتزجوا جنسياً ينظرون إلى الخلافة الإسلامية فى دمشق أو بغداد أو القاهرة، باعتبارها الوطن الأم، مركز الخلافة، فضلاً عن كونها موطن الحضارة والثقافة والفكر والعلم والدين فى ذلك العصر .

ومن هنا كان بانتو أفريقيا الشرقية قد تأثروا بالاختلاط بالعناصر العربية، منذ عصور قديمة، ولكن هذا التأثير لم يكن بدرجة واحدة، وهو أشد ما يكون على الساحل ومنطقة البحيرات، وما يليها شرقاً من إقليم السافانا والجهات شبه الصحراوية، وامتدادها على سواحل المحيط الهندى .

كما كان أثر المظهر الحضارى واضحاً فى اللغة السواحيلية، التى انتشرت انتشاراً واسعاً فى شرق أفريقيا كلها، وذلك نتيجة ازدياد الدور الإسلامى الحضارى والثقافى ، وهكذا ترى كيف أن اللغة السواحيلية كانت أحد المظاهر القوية للمظهر الحضارى الإسلامى؛ حيث ساعد الإسلام وأهله بما ملكوا من صفات وخصائل حضارية عريقة وثقافة إسلامية عربية، فى ظهور تلك الديار بالمظهر الحضارى المتطور، وقد ذهبت شعوب الشاطىء الشرقى للقارة الأفريقية فى مدارج الحضارة الإسلامية، بالإضافة إلى أن ابناء شرق القارة الأفريقية كانوا قوة بشرية كبيرة، داخل نسيج الحياة العربية، كما أن تلك المدن هى المراكز الحقيقية للحياة الإسلامية؛ حيث عمل الفقهاء على إنشاء الكتاتيب لتحفيظ القرآن الكريم، وإلى هؤلاء الفقهاء يرجع الفضل فى نشر الإسلام والثقافة العربية ، كما أنه صحب انتشار الإسلام والثقافة العربية تطبيق الشريعة الإسلامية؛ حيث كان عديد من الحكام، شديدى الحرص على تطبيق أمور الدين الإسلامى، فى كل ما يمس الحياة اليومية .

كما ساعد تنقل طلاب العلم والمعرفة من ساحل شرق أفريقيا إلى كل من القاهرة ومكة المكرمة والمدينة المنورة، ومدن جنوب الجزيرة كحضرموت وصنعاء والحديدة، وبغداد ودمشق على طبع البلاد بالطابع العربى الإسلامى ، وأدى ذلك إلى انتشار حركة العلوم والتعليم فى جميع ارجاء شرق افريقية .

وهكذا لعب الإسلام والمسلمون دورهم المهم والأساسى، فى ظهور الشعب السواحيلى المسلم العربى؛ حيث تجلت معالم الحضارة الإسلامية، فى أجمل صورها فى تلك البقاع .

ولقد كانت بالنسبة للإمارات الإسلامية الحبشية سلطنة شوا، أول المراكز الحضارية الإسلامية، التى ظهرت فى وسط الحبشة، وظهرت كقوة سياسية فى القرن الثالث الهجرى- وقد استمرت تلك الولاية الإسلامية تحكم أنحاء جنوب شرق الحبشة، حوالى أربعة قرون، كما ظهرت سلطنة أوقات، وهى احدى كبرى سبع سلطنات، وقد سبقت سلطنة شوا فى الظهور، وقد أسسها قوم من قريش، وأصبح سلطانها أقوى السلاطين المسلمين فى تلك الأرجاء؛ حيث استطاع حاكم «أوقات» القوى أن يفرض سلطانه على الإمارات الأخرى، التى كانت تجاور أوقات .

وعلى هذا فإنه نتيجة لظهور تلك السلطنات الإسلامية، وانتشار الإسلام فى الحبشة

والمناطق المحيطة بها ، فإن ابناء الحبشة قد شدوا الرحال إلى بر اليمن؛ للتزود من مدارسها الإسلامية المنتشرة، وكذلك إلى الحجاز؛ حيث الأماكن المقدسة. وقد شهد القرن السابع الهجرى ازدياد دور الإسلام، وتوسع رقعة تلك الامارات، حتى دخل الهضبة الحبشية؛ حيث أسلم كثيرون من أهلها، وهكذا أخذت سلطنة أوقات تتسع داخلياً؛ حيث أخذ مسيحيو الحبشة يعتنقون الدين الإسلامى، وقد وقع عبء مقاومة الاعتداء الحبشى المسيحى على اوقات ، حيث كان العامل الدينى هو المحرك الأساسى، فى تلك الحرب الدائرة بين الامارات الإسلامية والحبشية، بعد أن ازداد نشاط الدعاة المسلمين ، كما أن الاحباش كانوا على اتصال وثيق بالحركة الصليبية، والصراع الذى يدور على أرض الشام .

كما ظهرت إمارات أخرى إسلامية غير شوا وأوقات، منها إمارة بالى وهرر؛ حيث كانت هرر فى بعض الأوقات التاريخية أقوى هذه السلطنات، ولكن هذه الإمارات رغم صدق إيمانها، لم تكن قادرة على مواجهة الأحباش، الذين اتحدت كلمتهم، كما أن زيلع قامت بدور كبير فى حركة الجهاد الإسلامى، ولعبت دوراً مضاداً أقوى، وكانت إمارة عدل تشكل خطراً على النفوذ والقدرات المسيحية فى تلك الجهات .

ولقد كان تدفق النفوذ الإسلامى إلى بلاد الحبشة مشجعاً للعناصر العربية، التى كانت تعيش هناك ظاهرة أو متخفية ، ولكن الأحباش المسيحيين تغلبوا على هذه الحركات الإسلامية، وخرجوا من الصراع ظافرين، وذلك بفضل المساعدات البرتغالية. ولكن القرن السادس عشر شهد ظهور الأمير محمد بن إبراهيم، الملقب بالأشول أوالقرين؛ حيث أراد الإمام أحمد أن يسير إلى قلب الحبشة، بعد أن انتصر عليهم، ويجهز على الجيش الباقى. ولكن المسلمين لم يتابعوا حركة الغزو، ووقعوا فى خطأ فادح، واستنجد الأحباش بالبرتغاليين، بعد أن كان المسلمون قد سيطروا عام ١٥٣٥ على أراضٍ جديدة وواسعة داخل الحبشة، ولم تعد هناك رقعة ضيقة يحكمها نجاشى الحبشة، وخرجت الأقاليم عن طاعته ، ولكن ملك البرتغال أرسل قوة برتغالية كبيرة، قوامها أربعمائة جندى، ومعها الأسلحة الحديثة والمدافع .

ولكن فى عام ١٥٥٨م أرسلت البرتغال قوات كثيرة جداً، ومعها أحدث الأسلحة العصرية، انتصر بعدها الأحباش، وقتل الإمام احمد بن ابراهيم، وخمدت حركة الجهاد الإسلامى؛ حيث إن الاتراك لم يقوموا بالدور الواجب عليهم تجاه إخوة الإسلام، فى ذلك

الصراع، وانتهت هرر كقوة أساسية اسلامية وسياسية، فى الوقت الذى استطاع فيه الأحباش أن يبعدوا هذا الخطر الإسلامى، وأن يتخلصوا من التهديد العثمانى ، إلا أنه رغم كل أنواع القسوة والمعاملة الحبشية غير الإنسانية.. فإن المسلمين استطاعوا أن يتغلغلوا فى كثير من الأقاليم الحبشية؛ حيث الجنوب والشرق، كما استقرت جماعات مهاجرة بالقرب من أديس أبابا .

وفى حقيقة الأمر لو أن الامارات الإسلامية تعاونت تعاوناً صادقاً، وكان الموقف الإسلامى الخارجى مشجعاً ودافعاً لما تقوض هذا البناء الإسلامى، ولما عانى أخوة الإسلام فى أرتيريا وغيرها من الأقاليم الإسلامية من تلك السيطرة الحبشية المسيحية، التى تحاول أن تطمس معالم الإسلام ومعالم الحضارة العربية الإسلامية بكل قوة .

وكما شهدت ممالك الطراز الإسلامى هذا التحول والنمو السياسى والاقتصادى والحضارى ، فإن ساحل الصومال مر بهذه الظروف، ولو أنه لم يدخل فى صراع طويل مع القوة المسيحية ، حيث كانت إمارة مقديشو أو ساحل البنادر أو اقليم صوماليا، تسيطر على منطقة شرق أفريقيا الوسطى، كما كانت تمتد من خليج عدن شمالاً إلى خليج ديلاجو جنوباً . وقد حافظت مقديشو على استقلالها؛ فلم يستطع سلاطين الزنج أن يسيطروا عليها، وقد ظهر تحضر و رقى هذه الإمارة العربية من روايات ابن بطوطه، كما ورد ذكر مقدشيو فى حوليات الصين؛ حيث إنها مدينة عظيمة، وكون العرب بها طبقة ارستقراطية حاكمة، كما شارك شعبها والشعب الصومالى الإمام أحمد القرين حركة الجهاد ضد الأحباش .

كما أن هجرات الصوماليين فى القرن السادس عشر قد أخرجتهم من مواطنهم، ودفعتهم نحو الغرب؛ حيث استغلوا فرصة الضيق والضعف، التى تعانى منها الحبشة، وهاجروا إليها وأوغلوا فيها، وهذا يعطى الدليل لانطلاق الصوماليين؛ للمشاركة فى حركة الجهاد الإسلامى.

كما أنه ليس هناك شك فى أن مقديشيو فرضت نفوذها السياسى على بعض الأجزاء والمدن المحيطة بها شمالاً وجنوباً؛ فقد مدت نفوذها فى رأس حافون، ومدت نفوذها جنوباً إلى براوة وقسمايو، بعد أن اعلن حكام هذه المدن ولائهم لمقدشيو وحكامها وتعاونوا معها .

وقد انعكس الأثر الدينى الإسلامى على المساجد على طول الساحل، وبدأت اللغة

و"حضارة الإسلامية تنتشر بين مسلمى البانتو، وهكذا كانت مقديشيو أقوى الإمارات الإسلامية على الساحل الشرقى لأفريقيا ، حيث إننا نجد أنه عند قدوم البرتغاليين إلى هذه السواحل، فإنهم أخضعوا المدن جميعها ، ثم جاء دور مقدشيو، ولما رأى البرتغاليون موقفها العسكرى فإنهم تراجعوا عنها، وكان موقفها من الأسباب القوية، التى أدت إلى تقلص النفوذ البرتغال فى الساحل الشمالى لشرقى أفريقيا .

وقد ساعد مقدشيو على أن تقف ذلك الموقف، وتكون بتلك الصورة القوية، أن هذه الإمارة تختلف عن الإمارات الشمالية الحبشية، والتى دخلت لفترة أربعة قرون، فى صراع مع الحبشة المسيحية ، حيث إن مقدشيو لم تكن بجوارها دولة مسيحية لها تنازعها السيادة، وتحاول القضاء عليها؛ مما أعطاها الفرصة للازدهار، كما تحدث عنها بذلك ابن بطوطه عند زيارته لهذه المدينة، ووصفها وصفاً تفصيلياً .

ولقد كانت إلى الجنوب من مقدشيو، تمتد سلسلة من الإمارات حتى سفالة جنوباً،كان أقدمها ميناء أو جزيرة قنبلو، التى أنشأها العرب، وتشير الروايات إلى أنه ظهرت فى تلك الجزيرة حكومة عربية، وأن جماعة من عرب الأزد، كانت تعمل بالتجارة وتسكن معهم جماعات من الأفارقة ، كما أنه ظهرت إمارة نبت، واستطاعت أن تستولى على الساحل من مالنده إلى كلوه ثم تبعتها إمارة ممبسا ومقديشو وزنجبار، ولكن زعامة كلوه كانت أكثر هذه الزعامات بقاء وأكثرها قوة؛ لأنها كانت تسيطر جنوباً فى منطقة سفالة، وتقوم بالتجارة فى الذهب ، ويعتقد أن كلوه استطاعت أن تبسط سيطرتها على تجارة الذهب؛ خاصة وأن الذهب كان ينقل إليها من المنطقة المعروفة حالياً برودسيا (زمبابوى) .

وقد انتشرت الثقافة والحضارة العربية الإسلامية فى كلوه، ووفد إليها العلماء ورجال الدين؛ حيث كانت تعقد دروس العلم والدين فى المدارس، التى ظهرت فيها، وحيث وفد إليها الطلاب . ومن هنا كانت كلوه مركزاًكبيراً من مراكز الحياة العلمية الإسلامية، بل بؤرة اشعاع فكرى وعلمى فى عالم شرق أفريقيا، وكذلك كانت مكاناً، تنتشر منه الثقافة والعلم والدعوة الإسلامية إلى البقاع المجاورة، إضافة إلى كونها مركزاً، تتجمع فيه المؤثرات الإسلامية والحضارية والثقافية؛ لكى تصل إلى الداخل؛ حيث قلب القارة .

كما ساهمت باتا بدورها فى ظل أسرة آل نبهان، وكذلك ممبسا ، كما أن باتا وصلت

إلى درجة عالية من التقدم والتطور العسكرى؛ حيث ضمت إليها بعض المدن مثل قسمايو ، براوة ، ومقدشيو ، كما أنها استطاعت أن تمد نفوذها جنوباً، ولكن نفوذها كان إلى الشمال أكثر منه إلى الجنوب .

وشهدت ممبسا- كما شهدت كلوه وباتا- نهضةعربية إسلامية حتى قدوم البرتغاليين، وهذه المجموعة من الإمارات الإسلامية السابق الإشارة إليها، قد وصل عددها إلى أكثر من خمس عشرة مدينة مطلة على الساحل، غير المدن العربية الداخلية، التى وصل عددها جميعها إلي اربعين مدينة عربية إسلامية .

إلا ان دولة كلوه يرجع إليها الفضل فى أنها استطاعت أن توحد معظم المراكز الإسلامية، فى ساحل شرق أفريقيا، وبلغت ذروة قوتها فى عهد سليمان بن على ثان، فلم تستعص عليه من مدن الساحل، سوى مدينة مقدشيو كما استوطن العرب إقليم سفالة جنوب موزمبيق .

وإذا كان قد قدر لسلطنات الطراز الإسلامى أن تواجه خطر الأحباش، فإن إمارات ساحل الزنج وساحل البنادر قد واجهت خطر الزحف الصليبى البرتغالى ، حيث كان البرتغاليون قد تبعوا المسلمين؛ حين قدموا إلى شرق أفريقيا، ووصلوا إلى سفالة، أول مدينة عربية إسلامية فى جنوب شرق أفريقيا، حيث انتقل مسرح الصراع الصليبى من البحر المتوسط إلى المحيط الهندى؛ حيث كانت تجارة المحيط فى أيدى العرب، وكان ظهور البرتغاليين بداية صراع دموى عنيف، استمر أكثر من قرنين من الزمان، وقد استطاعت البرتغال أن تحقق أهدافها فى تضييق الخناق على المسلمين، والانتقام من المسلمين، والبحث عن مواطن الذهب والتوابل، والاتصال بالمملكة المسيحية فى الحبشة .

وهكذا كان من أثر الوجود البرتغالى، أن تحولت التجارة الشرقية عن طريق الخليج العربى والبحر الاحمر إلى المحيط الاطلسى؛ حيث الوصول إلى أوروبا مباشرة، واتخاذ ساحل شرق أفريقيا، بمثابة قواعد ملاحية فى الطريق إلى الهند ، وأخذ البرتغاليون ينشئون على الساحل مستعمرات ومحطات تجارية وحصوناً وثغوراً، بعد أن استخدموا أقصى الوسائل الوحشية فى السيطرة على كل هذه المدن والسواحل، بحيث إنه لم تنج مدينة من هذه المدن، واستطاعوا أن يقضوا على كل مراكز الحضارة العربية الإسلامية وثقافتها الزاهرة، وأن يقضوا أيضاً على

كل الوكالات والمؤسسات التجارية، التى أنشأها العرب فى تلك البقاع، وكذلك كان من أولى مخططاتهم الدعوة لتكثيف النشاط المسيحى، والقضاء على كل أثر للإسلام فى تلك الديار ، وعلي هذا فما أن تمت تلك الفتوحات، حتى شرع البرتغاليون فى نشر الدين المسيحى، وتأسيس الأسقفيات والكنائس والقلاع المسيحية، وإرسال أبناء شرق أفريقيا إلى جوبا بالهند، أو لشبونة عاصمة البرتغال، بينما توقفت حركة الهجرة العربية الإسلامية والصلات العربية الإسلامية مع الساحل .

ولقد رفض العرب والمسلمون تلك السيطرة البرتغالية، وقاوموا هذا الوجود وقاموا بالثورة، ورفضوا التبعية للبرتغاليين، لكن الأسطول البرتغالى وخروج آكلى لحوم البشر من الداخل استطاع أن يقضى على آمال المسلمين، فى التخلص من الحكم البرتغالى .

وقرر البرتغاليون إقامة قلعة فى ممبسا، أطلقوا عليها اسم يسوع المسيح؛ مما يعطى الدليل القاطع على أن الرغبة الحقيقية فى السيطرة والاحتلال البرتغالى لشرق أفريقيا، كانت محاربة الإسلام، والقضاء على كل ما هو إسلامى أو عربى فى تلك المناطق .

لكن امراء ممبسا قاوموا كل هذه الأعمال، وانتقموا من البرتغاليين، وطردوهم من المدينة، وأخذت الثورة الإسلامية تشتعل فى أغلب المدن الإسلامية، وقد نبهت تلك الثورة البرتغاليين إلى ضرورة تشديد قبضتهم على القسم الشمالى من شرق أفريقيا فأعادوا بناء قلعة يسوع المسيح، بعد أن كان أهل ممبسا قد ساووها بالأرض .

ولكن الله هيأ للإسلام قوة دافعة، رفع لواءها عرب اليمن من اليعاربة، الذين عملوا على تقليص النفوذ البرتغالى من شرق أفريقيا، ومن ثم أخذوا يشجعون الأفارقة ويمدونهم بالسلاح والعتاد والقوات، وعلى هذا فإنه قد تطلع سكان الساحل الأفريقى لأبناء عمومتهم فى عمان ومسقط؛ لإنقاذهم من سطوة البرتغاليين ، وهكذا بدأ تدخل عمان فى الصراع العربى البرتغالى الذى تدور رحاه فى شرق أفريقيا، حيث استطاعت دولة اليعاربة العمانية عام ١٦٥٢م أن تقضى على سيطرة البرتغاليين فى شرق أفريقيا .

وهكذا كان من نتيجة هذا النجاح الإسلامى العمانى تصفية الوجود البرتغالى، واشتعال ثورة عربية إسلامية، فى كل المدن الساحلية، ضد حكم البرتغاليين، من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب ، ويبدو أن اشتعال واتساع ثورات المسلمين فى شرق أفريقيا جعلت إمام

اليعاربة بتطلع إلى إنهاء الوجود البرتغالى فى أقصى الجنوب؛ حيث اتجه إلى قلب موزمبيق وحاصر قلعتها، إلا أن العرب اضطروا لرفع الحصار لظروف داخلية فى سلطنة عمان .

ولسنا بحاجة إلى القول إلى أن التفوق البحرى العمانى، كان له أثر كبير فى إحراز هذه النتائج العسكرية والسياسية فى شرق أفريقيا، يضاف إلى ذلك تزعزع مركز البرتغاليين فى شرق أفريقيا، الإسلامية؛ بسبب وجودهم الهامشى على الساحل، وعدم تغلغلهم فى الداخل. كذلك كانت قوة العمانيين وشدة إيمانهم بالقضية، التى يناضلون من أجلها، وهى نظرة إخوانهم فى العروبة والإسلام .ولقد كان سقوط ممبسا هو العامل الحاسم، الذى أنهى الوجود البرتغالى فى هذا القسم الشمالى من ساحل أفريقيا، وهكذا فإنه بسقوط ذلك الحصن، وضعت دولة اليعاربة العمانية نهاية لتفوق البرتغاليين فى شرق أفريقيا، وهكذا قلب رجال الإسلام الهزيمة إلى نصر وحقق هذا النجاح، الذى قاده أبطال عمان ما لم تحققه الدعوة الإسلامية فى القرون الأربعة الأولى على الاستقرار الإسلامى، وهكذا ارتبطت ثورة ممبسا على البرتغاليين بالصلات والعلاقات الأخوية الإسلامية، التى كانت تربط بين الساحل الشرقى الأفريقى وبين عرب عمان، ومن هنا.. فإنه تم على أثر السيادة العربية الإسلامية العمانية انطلاقة جديدة للإسلام؛ مما يجعلنا نؤكد إن ذلك التدخل العمانى قد أتاح للدعوة الإسلامية المناخ الصالح للانتشار، ومع ذلك استطاع سلاطين اليعاربة أن يرثوا البرتغاليين فى تأسيس دولة عربية، لها سيادة إسلامية، امتدت على جزء كبير من ساحل شرق أفريقيا .

ولكن قامت عدة ثورات فى هذه الإمارات، قام بها حكام الولايات الإسلامية، أمثال آل المزروعى فى ممبسا، وآل نبهان فى باتا؛ مما جعل سلطان عمان، أحمد بن سعيد، يدرك مدى خطورة حدوث انفصال بين شرق القارة، وبين عمان. وعلى هذا قرر السلطان ضرورة القضاء على حكام ممبسا المزروعيين والنبهانيين فى باتا، وهكذا واجهت الدولة البوسعيدية تلك الحركة الانفصالية، التى ظهرت فى المناطق الأفريقية بالحزم والقوة ، على أنه مهما يقال عن خفض تلك السيطرة العمانية البوسعيدية، فإن الذى لا شك فيه أن اتجاه احمد بن سعيد إلى شرق أفريقيا، كان بالقدر الذى سمحت به ظروفه؛ لتأكيد حقوق عمان فى تلك الجهات ، وقد امتازت فترة حكم أحمد بن سعيد بنمو العلاقات التجارية بين عمان وشرق أفريقيا، واستمرارها؛ مما ساعد على تنمية الموارد الاقتصادية.

وعندما تولى سلطنة عمان السلطان سعيد بن سلطان، فإنه عمل على بسط نفوذه بقوة إلى هذه الأرجاء؛ مما دفعه إلى الاستيلاء على ممبسا عام ١٨٣٧م، ثم كان عام ١٨٤٠م عام نقل مقر السلطنة إلى شرقى القارة؛ بحيث استطاعت أن تخضع هذه المنطقة وجميع الموانى المهمة والجزر الساحلية ، وعلى هذا فقد صادف السلطان سعيد نجاحاً كبيراً فى شرق القارة، على الرغم من أن عصره كان عصر الاستعمار الأوروبى الحديث ، ومن ثم اتجهت الدول الأوروبية ألمانيا وفرنسا وإنجلترا وإيطاليا جميعها إلى مصارعة السلطان المسلم فى هذه المنطقة، إضافة إلى النفوذ البلجيكى فى الداخل، وبذلك يكون الحديث قد انتهى عن تلك الإمارات الساحلية، ويبقى بعد ذلك جزيرة مدغشقر وجزر القمر، التى انتشر فيها الجنس العربى منذ فترات طويلة؛ حيث اختلط العرب المسلمون مع الأفارقة، الذين زحفوا من شرق القارة إلى هذه الجزر، واختلطوا سوياً، وتكون الشعب المدغشقرى والشعب القمرى، وانتشرت معالم الحضارة العربية الإسلامية، وسادت ثقافة إسلامية، تجلت فى أحلى صورها، فى تلك الأطر، التى كانت عليها هذه الجزر والسواحل، وهكذا فعل الإسلام وأهله والعروبة وأهلها- قبل ظهور الدعوة الإسلامية- دوراً فى انتقال تلك المنطقة من حالة البدائية والهمجية والانعزالية إلى حالة الترقى والتطور الحضارى، والاتصال مع شعوب العالم، بظهور تلك الإمارات الإسلامية وظهور اللغة السواحيلية، وهذا ما شهد به أعداء الإسلام من كتاب الغرب فى كتاباتهم .

* * *

المصادر والمراجع

١- العمرى : ابن فضل الله ت ٧٤٢هـ مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٥٥٩ معارف عامة .

٢- الإدريسى : محمد بن عبد الله : ت٥٦٠هـ نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق . ليدن. ١٨٩٣م .

٣- الاصطخرى : (ابو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسى) ت ٣٤٦هـ المسالك والممالك. القاهرة ، ١٩٦١م .

٤- ابن بطوطة : ابو عبد الله محمد بن اللواتى ت ٧٧٩هـ. تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، جزء، القاهرة ١٨٣٩م .

٥- ابن حوقل: ابو القاسم النصيبى ت ٣٥٠هـ : صورة الأرض .ليدن ١٩٣٨م.

٦- ابن اياس (ابو البركات محمد بن محمد ت ٩٣٠هـ : بدائع الزهور فى وقائع الدهور : القاهرة ١٣١١هـ .

٧- ابن خرداذبة (ابو القاسم عبد الله بن عبد الله : المسالك والممالك . ليدن ١٨٨٩م .

٨- ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد ت ٨٠٩هـ، العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ، القاهرة ١٢٨٤هـ .

٩- ابن سعيد المغربى ت ٦٨٥هـ : بسط الأرض فى الطول والعرض . تطوان ١٩٥٨م.

١٠- البكرى : ابو عبد الله بن عبد العزيز البكرى : ت ٨٤٧هـ.المغرب وذكر بلاد أفريقيا والمغرب ، الجزائر ، ١٨٥٧م .

١١- القلقشندى: أبو العباس أحمد بن على ت ٨١٢هـ صبح الأعشى فى صناعة الإنشا . ١٤ جزء ، القاهرة ١٩٢٢هـ .

١٢- المسعودى : أبو الحسن : مروج الذهب ومعادن الجوهر . القاهرة . ١٩٤٥م .

١٣- القزوينى أبو زكريا : آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت. ١٩٦٠م .

١٤ - ابن الفقيه الهمذانى. البلدان .

١٥- المقدسى: محمد بن محمد ت ٣٨٠ هـ، أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم : ليدن ١٩٠٩م .

١٦- المقريزى : الإلمام بأخبار عما بأرض الحبشة من ملوك الإسلام . القاهرة ١٩٠٨م

١٧- الطبرى ابو جعفرمحمد بن جرير : تاريخ الامم والملوك . ليدن ١٨٩٣م .

١٨- ابن تغرى بردى : جمال الدين يوسف : النجوم الزاهرة . القاهرة . ١٩٤م .

١٩- الوردى . سراج الدين عمر : زبدة العجائب وجريدة الغرائب ، بيروت . ١٩٦٤م .
٢٠- ابو الفدا، إسماعيل : ت ٧٣٢هـ : تقويم البلدان . الجزائر ١٨٣٩م .
٢١- ياقوت: أبو عبد الله ياقوت الحموى ت ٦٢٦هـ : معجم البلدان . القاهرة ١٩٠٦ .
٢٢- اليعقوبى : أحمد بن أبى يعقوب ت ٨٢٠هـ : كتاب البلدان ، ليدن ١٨٩١م.
٢٣- الصوافى : عبد الله بن مصبح : كتاب السلوة فى أخبار كلوه عن أوراق الشيخ محيى الدين الزنجبارى ، تحقيق آرثر ستروبج ، لندن. ١٨٩٥م.
٢٤- عرب فقيه . أحمد بن عبد القادر شهاب الدين : فتوح الحبشة . نشرة رينيه باستة . باريس ١٩٠٩م
٢٥- زين الدين . محى الدين : تحفة المجاهدين فى بعض أحوال البرتغاليين : مخطوطة عربية حققها دافيد لويس لشبونة ، ١٨٩٨م .
٢٦- الحيمى : سيرة الحبشة ـ حديقة النظر وبهجة الفكر فى عجائب السفر . تحقيق مراد كامل . القاهرة . ١٩٥٨م .
٢٧- السالمى : نور الدين : تحفة الأعيان بسيرة آل عمران . تحقيق أبو إسحاق إبراهيم طفيش. القاهرة . ١٣٣٠ .
٢٨- الوزان ، الحسن : وصف أفريقيا . ترجمة عبد الرحمن حميدة . الرياض . ١٣٩٥هـ .
٢٩- إبراهيم على طرخان : دولة مالى الإسلامية . القاهرة ١٩٧٢م .
٣٠- أحمد شلبى : التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ، القاهرة ١٩٦٧.
٣١- أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية . القاهرة ١٩٨٣.
٣٢- أحمد سويلم العمرى : الأفريقيون والعرب . القاهرة ١٩٦٧م .
٣٣- أنعام الله خان : تقويم العالم الإسلامى : كراتشى ١٩٤٢م .
٣٤- السيد يوسف نصر : جهود مصر الكشفية فى أفريقيا . القاهرة ١٩٧٤م .
٣٥- توفيق ميخائيل : غرائب الأخبار عن شرق أفريقيا وزنجبار . القاهرة ١٩٠١م .
٣٦- جامع عمر عيسى الصومالى : الصومال فى العصور الوسطى والحديثة .القاهرة ١٣٨٥م.
٣٧- جمال حمدان : العالم الإسلامى المعاصر ، القاهرة.١٩٧١م .
٣٨- جمال زكريا قاسم : الروابط العربية الأفريقية، قبل حركة الكشوف الجغرافية(فصل) القاهرة ١٩٧٧م
٣٩- جمال زكريا قاسم : تفكك العلاقات العربية الأفريقية، خلال العصر الاستعمارى . تصل ، الفاوة ، ١٩٧٨ .

٤٠- جمال زكريا قاسم : الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية ، القاهرة ١٩٧٥م .
٤١- جمال زكريا قاسم : دولة بوسعيد فى عمان وشرق أفريقيا . القاهرة ١٩٦٧م .
٤٢- حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية فى أفريقيا . القاهرة . ١٩٦٣ .
٤٣- حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام فى القارة الأفريقية . القاهرة ١٩٨٤م.
٤٤- حسن إبراهيم حسن : الإسلام والعروبة فيما يلى الصحراء الكبرى . القاهرة ١٩٥٧م.
٤٥- جمال محمد احمد : وجدان أفريقيا . الخرطوم ١٩٧٤م.
٤٦- زاهر رياض : مصر وأفريقيا : القاهرة ١٩٧٦م .
٤٧- زاهر رياض : استعمار أفريقيا القاهرة . ١٩٦٥م .
٤٨- زاهر رياض : الإسلام فى اثيوبيا ، القاهرة ١٩٦٤م .
٤٩- زاهر رياض : تاريخ اثيوبيا . القاهرة ١٩٦٦م .
٥٠- حمدى السيد : الصوامال . القاهرة١٩٦٦م .
٥١- شوقى عطا الله الجمل :سياسة مصر فى البحر الأحمر . القاهرة ١٩٨٤م .
٥٢- الشاطر بصيلى عبد الجليل : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط . القاهرة ١٩٧٢م .
٥٣- صلاح العقاد : جمال زكريا قاسم . زنجبار . القاهرة . ١٩٦٥م.
٥٤- عايشة اليسار : دولة اليعاربة فى عمان وشرق أفريقيا . بيروت . ١٩٧٥م .
٥٥- عبد الرحمن زكى : الإسلام والمسلمون فى شرق أفريقيا . القاهرة . ١٩٧٠م .
٥٦- عبد المجيد عابدين . بين الحبشة والعرب . القاهرة ١٩٤٧م.
٥٧- عبد الغنى خلف الله : مستقبل أفريقيا السياسى . القاهرة ١٩٦١م .
٥٨- عبد الفتاح الغنيمى : الإسلام والعروبة فى السودان . القاهرة . ١٩٨٥م .
٥٩- عبده بدوى : مدن أفريقية . القاهرة . د. ت .
٦٠- عبده بدوى : السود والحضارة العربية . القاهرة ١٩٧٦م.
٦١- فضل حورانى : العرب والملاحة البحرية فى المحيط الهندى . القاهرة . ١٩٥٨م.
٦٢- عبد الرازق الخالدى : مسقط وعمان، السلطنة المجهولة . بيروت ، ١٩٥٧م .
٦٣- محمد امين صالح : العرب والإسلام . القاهرة ١٩٨٤م .
٦٤- محمد عوض محمد: الشعوب والسلالات الأفريقية . القاهرة ١٩٦٥م .
٦٥- محمدسليمان : دور الأزهر فى السودان ، القاهرة ١٩٧٥م .
٦٦- محمد رجب حراز : التوسع الايطالى فى شرق أفريقيا . القاهرة ١٩٦٠م .
٦٧-محمد رجب حراز : بريطانيا وشرق أفريقيا . القاهرة ١٩٧١م .

٦٨- محمد عبد العزيز إسحاق : نهضة افريقية . القاهرة . ١٩٧٦م.
٦٩- محمد محمد أمين : تطور العلاقات العربية الأفريقية فى العصور الوسطى (فصل) القاهرة ١٩٧٨م.
٧٠- محمد المعتصم سيد : مهدى الصومال . القاهرة د. ت .
٧١- محمد محمود الصواف : أفريقيا المسلمة . بيروت . ١٣٩٥هـ .
٧٢- محمود على توبارى : قضية القرن الأفريقى . القاهرة ١٩٧٦م.
٧٣- محمود كامل : الإسلام والعروبة ، القاهرة ١٩٧٦ م .
٧٤- محمود على الداود : تاريخ العلاقات البرتغالية مع الخليج . بغداد ١٩٦٠م .
٧٥- عونى مصطفى : سلطنة الظلام فى مسقط وعمان : بيروت ، ١٩٦٤م .
٧٦- محمد صبرى : مصر فى أفريقيا الشرقية . القاهرة . ١٩٣٩م .
٧٧- يوسف أحمد : الإسلام فى الحبشة . القاهرة . ١٩٣٠م .

٢- المراجع العربية (المترجمة) .

٧٨- جيان : وثائق تاريخية وجغرافية وتاريخية عن شرق أفريقيا . تعريب يوسف كمال القاهرة . ١٩٢٧م .
٧٩- أرنولد توماس : الدعوة إلى الإسلام ، ترجمة حسن ابراهيم حسن وآخرين . القاهرة ١٩٥٧م .
٨٠- بوركهات ، جون لويس : رحلات بوركهارت فى بلاد النوبة والسودان ، ترجمة فؤاد أندراوس .القاهرة ١٩٥٩م .
٨١- جوليان ،شارل أندريه : تاريخ أفريقيا ، ترجمةطلعت عوض اباظة، القاهرة ١٩٦٨م .
٨٢- دقدسن .بازل : أفريقيا تحت اضواء جديدة . ترجمة جمال محمد احمد . بيروت.د.ت .
٨٣- اوليفر رولاند ، جون فيج : موجز تاريخ أفريقيا . ترجمة دولت احمدصادق، مراجعة محمد السيد غلاب ، القاهرة د. ت .
٨٤-سلجمان ، س.ج : السلالات البشرية فى أفريقيا ، ترجمة يوسف خليل ، القاهرة ١٩٥٩م.
٨٥- ديشان ، هوبير ، الديانات فى افريقيا السوداء . ترجمة احمد صادق حمدى. القاهرة ١٩٥٦م.
٨٦- لوثورب ، إستودارد : حاضر العالم ، تعليق شكيب أرسلان ، ترجمة الحجاج تهويض. القاهرة .١٩٤٣م .
٨٧ ـ ترمنجهام . س.ج : الإسلام فى شرق أفريقيا . ترجمة عاطف النواوى ، القاهرة ، ١٩٧٢ .

٣- الرسائل الجامعية .

٨٨- أحمد على أحمد: كلوه ، تاريخها وحضارتها ، ماجيستير ، معهد الدراسات الأفريقية. جامعة القاهرة . ١٩٨٣م .

٨٩-راجية محمد عفت: الثقافة العربية فى شرق أفريقيا ، دكتوراه ، معهدالدراسات الأفريقية ، جامعة القاهرة ، د. ت .

٩٠- نوال محمد عبد العزيز: العرب فى شرق أفريقيا فى القرن الثامن الميلادى حتى تدخل البرتغاليين فى الخامس عشر الميلادى ، ماجستير ، معهد الدراسات الأفريقية ، جامعة القاهرة . ١٩٨٠م.

٩١- إبراهيم عبد المجيد محمد : الاستعمار البريطانى فى الصومال ، ماجستير ، معهد الدراسات الافريقية ، جامعة القاهرة ١٩٧٧م .

٩٢- إبراهيم عبد المجيد محمد: الاستعمار الفرنسى فى الصومال ، دكتوراه ، معهد الدراسات الأفريقية ، جامعة القاهرة ١٩٨٢م .

٤- الدوريات .

٩٣- إبراهيم طرخان : الإسلام والممالك الإسلامية بالحبشة . مجلة الجمعية التاريخية، المجلد الثانى ١٩٥٩م .

٩٤- جمال زكريا قاسم : استقرار العرب فى ساحل شرق أفريقيا ، مجلة كلية الاداب جامعة عين شمس . ١٩٦٥م .

٩٥- جمال زكريا قاسم : الممالك الإسلامية فى الحبشة ، مجلة العربى الكويتية، أبريل ١٩٧٣م .

٩٦- سعد زغلول عبد ربه : الصراع الألمانى البريطانى فى شرق أفريقيا . مجلة الدراسات الأفريقية ، ١٩٧٦م .

٩٧- عبد الفتاح مقلد الغنيمى : الدعوة الإسلامية فى شرق أفريقيا ، الدعوة . السعودية ، ١٣٩٥هـ .

٩٨- زاهر رياض : اتجاهات مصر الأفريقية فى العصور الوسطى . مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة ، مايو ١٩٨٥م.

المراجع الأجنبية

1- Anderson, J.R : Islamic law in Africa . London, 1954 .

2- Badger, G : History of the Imams and Seyyids of Oman, London, 1871.

3- Basse,H : Etudes sur l'Histiore d'Ethiopie . Paris, 1882.

4- Blyden, EW : Christianty, Islam and the Negro Race, London, 1888 .

5- Boxer, C.R : Fort Jusus and the Portugesse in Mombassa. London, 1961 .

6- Budge, E.A : History of Ethiopia, Nubia, Abyssinia . London, 1948 .

7- Burton, R : First Foot Prints in East Africa . London, 1856 .

8- Boxer, C.R : Four Centries of Portugesse Expansion, London, 1961 .

9- Calvert, A.F: German East Africa . London, 1954 .

10- Charles, R : East Africa Explorers . Oxford, 1938 .

11- Coupland,R: The explotation of East Africa . London, 1939 .

12- Coupland, R : East Africa and Its Invadors. London, 1942 .

13- Cooley, W.D : The Negro Land of the Arabs. London, 1841 .

14- Craster, E Pempa, The Spice Island of Zanzibar, London,1938 .

15- Eliot, C : East Africa Portectorate . London, 1965 .

16- Doman , M.H :The kilwa Civilisation and kilwa Ruins, London, 1938.

17- Dale, G : The people of Zanzibar London, 1920 .

18- Dixon, A : TheAfrica, uganda. and zanzibar and pempa London, 1848.

19- Free man, G : East Africa Caost Oxford, 1969 .

20- Fitzgerald, W.A : Travels in Zanzibar and Pempa . London,1848 .

21- Gabreil,F : Les Musulmans de Mudugas car et l'lies du Commeres .

Paris, 1933 .

22- Grenville, F : The Medival History of Coast of Tanjanika, London, 1962.

23- Gray, J : History of Zanzibar from the Middle Ages to 1856, London, 1958 .

24- Gray, J : History of kilwa , Tanjanika. London 1926 .

25- Gray, J : Early Portugesse Missionaries in East Africa . London,198 .

26- Greenbery, J : The Influence of Islam on Sudanese Religion . New York, 1947 .

27- Jarrtt, H.R : Africa . London, 1974

28- Hamitton, t.w : A short History of East Africa : London, 1929 .

29- Hichan, M : Islam in East Africa . London, 1942.

30- Holling S.W : A short History of East Coast of Africa .London, 1949 .

31- Hunting Ford, C.W : East Africa Background.London, 1950 .

32- Harlow, V :History of East Africa, oxford, 1954 .

33- Hodge, V and Collister, P Pioneers of East Africa. London, 1961.

34- Hutchinson, E:The Slave Trade of East Africa. London, 1874 .

35- Huxley,E : Settlers of Kenya. London, 1969 .

36- Ingrans, W.H: Zanzibar, Its History and Its People .London, 1976 .

37- Kammerir, A : Histiore d'Abysinie, paris, 1938.

38- Lyne, R.V : Zanzibar.London 1905 .

39- Longrigg, S.H : A short History of Ervitrea. London 1945

40- Marsh, z : Hirtory of East Africa. London 1955 .

41- Marshall,A : Fort Juses Mombassa . Kenya . London ,1934 .

42- Nevill, C : kilwa, An Islamic Trading Its on the East Africa Coast London,1938 .

43- Oliver, R : The Missionery fectorin East Africa, London 1958 .

44- Eliver, R : History of East Africa . Oxford, 1962 .

45- Pearce,F.B : Zanzibar the Islamd Metropolis of Eastern Africa . London, 1920 .

46- Pruen,S : The Arab and the Africa . London, 1891 .

47- Stong, A.s: History of kilwa . London, 1895 .

48- Stevenson, J : The Arabs in Central Africa . London, 1962 .

49- Stander, J : The Portugese Period in East Africa . London, 1959 .

50- Stiegand,C.H : The Land of the Zin J . London, 1949 .

51- Ssekamwa, J.C : History of Africa London, 1976.

52- Trimingham, J.S Islam in Ethiopia . Oxford, 1952 .

53- Reute, R : The Albusaid in Oman and East Africa. London, 1929 .

54- Rotbery, R : Travels, Researches and Missionary Labour in East Africa . London, 1958 .

55- Roberts, A : Tanzina before 1900. London,1975 .

56- Reusch, R : History of East Africa . London, 1938 .

57- Warner, A : History of Pata . London, 1915 .

58- were, G and wilson, A : East Africa through 1000 years, London, 1971 .

59- Zischka, A : Afrique Complement de l'Europe .

60- Trimingham, J . S The influence of Islam upon Africa . London, 1968

* * *